

سَيِّدُ تَقِيِّ الدِّينِ

تَبَلَّغُوا وَابْتَلَّغُوا

oboeikandi.com

إذا لم أكن في بلادي منارا
ودفقة دم وانتصارا

فماذا أكون ؟

إذا لم أكن دريها الصاعده
وشعلتها الخالده

وموعدها وهي لا تشعر

ووثبتها وهي لا تشعر

فماذا أكون ؟

إذا لم أفجر حياتي حبا

واحمل على مهجتي بلادي

وارصف وجودي دربا

لغزو الذرى ، للجهاد

فما أنا الا خيال وحلم

واسع سراب وهم

وما أنا إلا فراغ وطن

أدوينيس (في أسره)

خارطة وجبة

هذه سورية — بلادنا .

غيرنا يطلق عليها اسم « الهلال الخصيب »

نحن نؤمن بها وحدة قومية اجتماعية . لها ولاؤنا المطلق النهائي الأول والاخير .

انها احدى وحدات العالم العربي الاربع . الثلاث الباقيات هي : وادي النيل ، الجزيرة العربية ، والمغرب .

هذه الوحدات الاربع تؤلف الجبهة العربية التي يجب ان نتفكر فيها قوة تسحق اعداءها . وان استطاعت هذه الجبهة في مستقبل الايام ، ان تنصهر في وحدة سياسية — نحن نرى انها مستحيلة التحقيق لانعدام مقوماتها — فليس منا من يسعى لهذه الوحدة ان لا تكون .

وهذه الجبهة العربية ، لبلادنا — لا لسواها — مسؤولية قيادتها ، اذاً وقد انتدبتنا الحياة ، بما عثقت فينا من مواهب وركزت من قوى متفوقة ، بهذه المسؤولية فأولى واجباتنا في قيادة العالم العربي ان نفهم العروبة تقيّة صافية فقد اثبتت الحروب ان افعال المقاتلين هم من يفهمون ما من اجله يقاتلون . والعروبة هي شيء نقاتل من اجله .

بلادنا من قها ضعفنا ومن قها الاستعمار . علينا بالقوة ان نطرد الاستعمار ونتغلب على الضعف . والاستعمار هو صهيونية اغتصبت ارضنا ، ودول اجنبية احتلت او بسطت نفوذاً . ومن هذه الدول الاجنبية المستعمرة دولة تحاول السيطرة علينا بالتسلل الى نفوس مواطنينا ، شيوعية تفسدها .

فهرس

١١

صفحة

3	• • • • •	قفص الشماع	—	1
9	• • • • •	حين استجبت النفير	—	2
15	• • • • •	وثبة نحو الضياء	—	3
19	• • • • •	في اول مارس ولد الذي بعث الأمة	—	4
24	• • • • •	أريد ان انشق فوح دمي	—	5
41	• • • • •	حين تروكب العدالة	—	6
49	• • • • •	هذا مذهبي	—	7
54	• • • • •	نحن نخاف التاريخ يا سمو الأمير	—	8

رقة جناح - خفق الأجنحة

65	• • • • •	ما لك والأحزاب	—	9
67	• • • • •	زحزح الصخر	—	10
69	• • • • •	نقاط السطور	—	11
72	• • • • •	اكتشاف	—	12
74	• • • • •	در المعرفة وبوطها	—	13
77	• • • • •	مدرستان	—	14
80	• • • • •	برسم الأجانب	—	15
83	• • • • •	ثورة في التفكير	—	16

85	.	.	.	.	.	.	الجندي قائد	—	17
87	.	.	.	.	.	.	اخبارية	—	18
92	.	.	.	.	.	.	رفات تنتقل	—	19
94	.	.	.	.	.	.	هذا النادي	—	20
96	.	.	.	.	.	.	الجاهل الثاني	—	21
98	.	.	.	.	.	.	هذه دغدغة	—	22
100	.	.	.	.	.	.	نكتة مستمرة	—	23
102	.	.	.	.	.	.	البوابة	—	24
105	.	.	.	.	.	.	صقيع يحرق	—	25
107	.	.	.	.	.	.	لواني صاحب الجلالة	—	26
111	.	.	.	.	.	.	الفرق	—	27
113	.	.	.	.	.	.	عجين البغضاء	—	28
115	.	.	.	.	.	.	العيش والحياة	—	29
117	.	.	.	.	.	.	انهيار وترميم	—	30
119	.	.	.	.	.	.	طريق ظهر البيدر وطريق مرجعيون	—	31

تبلغوا وبلغوا

125	.	.	.	.	.	.	لو اننا نوؤمن بالاغتيال	—	32
130	.	.	.	.	.	.	حكاية دخولي الحزب	—	33
136	.	.	.	.	.	.	جورج عبد المسيح	—	34
145	.	.	.	.	.	.	اليدين التي توقع الصلح مع اسرائيل	—	35
150	.	.	.	.	.	.	امام الحزب سبيع سنوات	—	36
155	.	.	.	.	.	.	مواطن الضعف في الحزب	—	37
160	.	.	.	.	.	.	علاقة الرئيس شمعون بالحزب	—	38
165	.	.	.	.	.	.	الجزيرة العرقى	—	39

oboeikandi.com

قفص الشعاع

بعد مئة سنة ، او خمسين ،
سيطبق تلميذ التاريخ كتابه
ويقوله ، ثم يستعيد رصانته ويتساءل
بالم : « أكانت بلادنا من الجهل
والضعف بحيث وجدت في الحركة
القومية الاجتماعية شيئاً غريباً ؟ »
ثم يتأمل ، رجاء ان يهتدي الى
سر بقاء هذا الحزب وانتشاره
وثبوته للصدمات وتغلبه عليها ،
ويبحر ليستقري سبب تماوي
غيره من المنظمات والهيئات
والتشكيلات ، ثم يعجب ان
كيف يعقل ، وكل هذه ، كالحزب
السوري القومي الاجتماعي تعبي*
قواها من خزان الامة الواحد

فتندثر هي و يبقى هذا الحزب ، لا ليؤكد بل ليثور ويتفولذ
ويقهه .

وقد يرتد دارس التاريخ الى تحليل غير هذه الحركة من
الحركات المنقذة في حياة سوانا من الامم فيكتشف انها محاولة
وثوب من هوة الى قمة ، ويلبس في جميعها العناصر الاساسية
المشتركة الواحدة ، ويجد في قادتها ومؤسسيها ، كما يجد في انطون
سماده ، الصفات الغالبة التي تسم كل من بحق دعي زعيماً . ويجد في
تلامذته من الصفات ما ميزت تلامذة سواه من اصحاب الدعوات .
فيهم البطل ، وفيهم الجاهل الموهوس ، وفيهم من سئم طول
الطريق ، وفيهم الخائن ، وفيهم المرتد ، وفيهم من يحاول ان
يشرد ليتزعم فئة اخرى . ولكنه لن يكتشف - تلميذ التاريخ -
واحداً اعتنق عقيدة صاحب هذه الدعوة ولم تفعل في نفسه هذه
الدعوة فتسببها بطابع لا يمحى .

وسيجد تلميذ التاريخ ان جموع هؤلاء التلامذة هم أسى
اخلاقاً ، وارهف احساساً ، واشجع قلباً ، واقل انانية وفوضى
منهم قبل ان يدخلوا هذه المدرسة . وسيجدهم فريقاً منظماً تسودهم
روح الفريق لا جمهرة اشخاص . وسيتعلم اذ يواكبهم في طريق
الصراع ان لا يستفهم عن عددهم ونسبته الى عدد سائر المواطنين ،
فدارس التاريخ لا يطول به الامر حتى يفقه ان العدد هو ضعف
سليبي ان كان خلايا مية ولا يصبح العدد من عناصر القوة حتى
يكون كهارب حياة . اذكروا فلسطين .

فاحزاب بلادنا ، ان استثنيت منها الحزب الشيوعي سافت

عددًا من المواطنين ، واكثرهم مخلصون بانفعالية مستهجلة نحو
اهداف قريبة ومطالب ملحة . فتراكضوا وتفرقوا . ذلك لأن
هذه الاعزاب - بقطع النظر عن خطأ حوافز بعضها ، وجهل قادة
البعض ، وخداع متزعمي البعض - اهتمت ، لاستعجالها ، ترويض
افرادها قبل ان ادخلتهم في السباق . فالحزب السوري القومي
الاجتماعي ثبت في الميدان لأن افراده مروضون ، ولأنه في
جوهره حركة تربية ثقافية تفعل في الذات اولاً قبل ان تحاول
الذات ان تفعل فيما عداها . لذلك ابطأت انتصاراتها . وان لم
يكن لسماده ، مؤسسها ، من فضل يخلده لكفاه انه لم يخدع
نفسه فلم يرتض بنصر قريب فرعي عن النصر الكبير الشامل .
والقرائن في كل يوم تتوفر على انه كان موقفاً في نفسه على انه
سيكون وقود مرجل الحركة فجاء موته شرطاً لانتصار قضيته .
وليس ادل على ان هذه الحركة الثقافية قد روت نفوس
معتنقيها وتوجهت تستهوي فضائلهم - ومن ابرز الفضائل المثابرة
والاستمرار - من الظاهرة التي تثبت ان فاعلية الحزب هي على
اشدها في الازمات . فالتبرعات لا تكون ضخمة ، والتضحيات
لا تكون كبرى ، ولا التوتر النفسي على ذروته الا حين يواجه
الحزب ، كما هو يواجه اليوم ، محنة كبرى . فلو ان الحزب طغت
عليه الملعنة المشرقية - ما شاع انه ذكاء وسياسة - لانهم اعضاؤه
الى ملاجئ النستر والحيل وجنحوا عن القتال العلني في ساحات
النحدي .

وهذه الحركة - ككل حركة سواها - تشكو وتنعم

وتضعف وتقوى بأن بين المبشر بها وتلاميذته هذا الاوقيانوس
الواسع من الفرق في عمق الايمان ، واتساع آفاق النظرة الشاملة ،
والمناقبية ، والثقافة . فقوتها ان دستورها ، وأقوال زعيمها هي
المرجع الذي يضبط ويحفز . وضعفها انها ما انبثقت من ذاتية
جنودها ، فأُمسّت في خطر عبودية التقليد والتردد والانتكالية على
ما قال معلمها وفعل وارتأى . ولكن من الواضح انها نجت من هذا
الخطر ، ومن خطر تعبد البطولة ، وتجاوزت بنجاح ادق مراحلها اذ
انها بعد مصرع زعيمها ، وخلال نقاهة من جراح خالها المجرمون مميّة
لمت قواها وانبثقت فيها ، فيما كانت تستشفي ، قوة الابداع
متجسدة في كلمة خطابية القيت ، او عبارة نثرية كتبت ، او اغنية
من قصيدة نظمت ، او لحناً جديداً انشد ، فتقلصت آفاق ابعدت
بين المعلم والتلميذ وضاق ذلك الاوقيانوس ، ففي مجال البطولة
الجسدية مثلاً وهو اقصر اشواط الحياة واصعبها ، تساوى بعض
التلاميذ بمعلمهم . هكذا ترى ان الايمان بنجاح هذه الحركة ليس
مصدره طبيعة التفاؤل بل انه حقيقة يراها كل من راقب زحف
الصفوف جبهة متحدة نحو الافق الذي يبدو في كل يوم اقرب فأقرب .
كنت ذات يوم انزّه وصديقي الدكتور فؤاد صروف ونحن
نتحدث . وفجأة وقف صروف وبلمحة فيها هلع ، وبقلبي من
يطلب تأكيداً من صديق يعكس ما به هو مقتنع باح لي : « انني
اشعر بخيبة في الحياة لانني لم ابدع شيئاً . فأنا لم انظم قصيدة ،
ولا خلقت قصة ، وما اخترعت آلة » .

اجبت وما كنت احاول التعزية ولا الموعدة المُنْفَوْقِيّة :

« انك لم تستنبط شيئاً ، وقد لا تكون مواهبك قمة او قهم ،
غير ان في مجموعة كفاآئك ، وقد لا تبدو غير عادية ، ما يجب ان
يطمئنك الى انها بنت لك عشاً في السقف . »

في مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي وضوح وبساطة
ورقابة تستهوي الرجل العادي مثلي الذي ليس له ولع بالنظريات
والاراء المعقدة والذي يرى ان ليس لبلاده ان تنغمس اليوم في
هذا الترف العقلي والذي كل هم ان يصح ويتوفر تطبيق هذه
المبادئ حتى تسمي فعالية في الحياة ، وجهاز نهضة تحررية . وفي هذه
الجمهرة من المبادئ وهي في ظاهرها عادية عظيمة . غير ان فيها
كذلك من العمق والفلسفة وعلوم السياسة والاقتصاد والاجتماع
ما يتحدى المفتونين بهذه المواضيع . ولكن هؤلاء المفتونين هم
بعض نكبات امتنا اذ انهم يختارون من نظريات العقيدة القومية
الاجتماعية اهدافاً يصوبون اليها مدفعية الكلام ويتخذون من
مفسطات المنطق ذريعة لتخلفهم عن موكب الحياة الفاعلة . « انا
فوق الاحزاب » وان بلادنا وهي على ما هي عليه من الضعف
تقول لمن ليس هو في حزب « ما انت فوق الاحزاب - تحتها
بكيلو مترات » .

تاريخ هذه الحركة ما كتب ولن يكتب . قد يدون البعض
احداثها وحوادثها . ولكن هذه الحركة تزوبع في صميم
نفس المواطن ، فيأتي تفاعلها بقدر عدد معتنقيها وأمزجتهم
وأجهزتهم العقلية والجسدية والروحية ، ويتجسد هذا التفاعل

بليون اثر وصورة وانفعال وعمل . فكيف لأي ان يسجل هذا
او يرويهِ . وان اعتبرت كيف تحدّت هذه القوة ، بالاقناع
والتبشير ، تحجرتنا وضعفنا وخوفنا واوهامنا سلباً وإيجاباً ، هدماً
وبناء ، تحققت ان المواطن حين ينضم الى هذه الحركة
يجتزع عجيبة .

الصفحات التي تقرأ تدون بطريقة عابرة تجاوب نفسي بعد ان
تجنّدت . واني لأشعر انني اجني على الحقيقة اذ أدون ما فعل
الايمان في نفسي اذ افحص هذا التجاوب بين دفتي كتاب او
الف كتاب .

حين استجبت التفسير

ما أنا بالمتشدد على القوانين ، ولا بالذي يعصاها .
ما دامت السلطات لا تعترف بالحزب السوري القومي
الاجتماعي ، فما انا من اعضائه .

غير ان الحكومة اصدرت مرسوماً يحل الحزب ، ولا يحل
العقيدة - وهذه هي الايمان الذي لا يُسجن ولا يُسحق .

لقد انفقت ، بعد عودتي من المهجر ، ما يقرب من سنوات
اربع ادرس الناس - اعمالهم لا اقوالهم . وظفرت بصداقات
جميمة مع قادة احزاب وجماعات ، ورجال عاديين وغير عاديين ،
ورسميين وغير رسميين ، من مختلف الثقافات ، والقبائل ،
والادعاءات ، والطبقات والطوائف .

وحدقت بهذه المواكب السائرة على الدروب ببصر جهدت ان
يكون متبجراً .

فرايت المواطنين وقد صاروا يُكالون اجمال بوسطات ،
ويستعملون كطوائف النور - للرقص ، للاعدا ، للقواص ،
للفرجة .

واصفيت الى المصلحين بحر كون السنة تنطلق بالحلاوة ، فيما
تبطنها السوم .

ولست الرجعية في معسكرين تعاهدا في ميثاق ، هو في
جوهره خيانة في التفكير ، اذ انه اعترف باننا أمتان لا أمة
واحدة .

وتطلعت الى هذا الكرنفال يمثل فيه الحواة والمشعوذون
والمهرجون ، وتحلق في هوته الخفافيش ، وتروج فيه البضائع
المغشوشة من مخلفات الاستعمار ، ومن مصانع الزيف التي شيدت
اخيراً .

واعتبرت كيف نعمت الحياة وترهلت العقائد ، وكيف
صبغ الجهل - الطائفية من عناصره - والجشع (الترف من
اسبابه) كل عمل وكل تفكير .
واستعرضت المنظمات والاحزاب :

فاذا هنالك عروبة هي ، حين تنقى ، قطعة مسبحة ، وفناجين
قهوة ، وتندر بطرائف بالية ، ونكات هرمة ، ومحاولة لعصر
قنينة فارغة ، وشيزوفرنيا ، ذلك النوع من الجنون الهاديء اللذيذ
إذ ينطوي المصاب على شخصيته ويبايع نفسه ملكاً في مملكة
الاحلام والاهام .

وهي ، أي العروبة ، في فريق ثان ، كهويت من التعصب
الأكال .

واذا هنالك لبنانية ، حين تصفو ، تتلاشى اغنية في موال
عتابا ، وتذوب نشوة في كأس عرق ، وقد تتصلب بطولة

معكوسة في ضربة عصا ، او تتجسد خنوعاً في وفد ينهدو لتهنئة وزير ، وتشرئب ثورة كاسحة في تلغراف احتجاج على شاوريش الخنفر . هؤلاء هم قرويو ضيعة يدعون انهم مواطنو أمة .

وهي ، هذه اللبنانية ، إذ تعكر وتوج ، تسي بطولة في معارك ما حدثت ، وكركرة الماء في اركيلة ليس فيها تنباك ، وشوكة تصوب الى عين الجار ، فيما يقال انها سيف في وجه الغريب .

ثم هنالك عقائد اجنبية ، احداها الشيوعية ، وهي الظل الاسود للغميمة الحمراء العالقة في سمائنا مترقبة اللعظة الحامسة كي تنفجر وتنهمر ناراً ودماراً وكفرأ وجرائم . يرح في عتمة هذا الظل الاسود جماعة من المهووسين ، والمأجورين ، والناقمين ، وفئة مخلصة جربت ما توهمته مليحاً فوجدته قبيحاً ، فبعاءت تجرب هذا القبيح أملاً بان تجده مليحاً ، فتعلقت بهذا القطار المسرع نحو الهاوية .

وفي الزمن الاخير ، قيل لفتى انه نبي ، فراح يفتش عن رسالة ، ويللم بخرقة مرقعة من مختلف الانسجة والامزجة ، تمتص ما تسرب من براميل العقائد ، ما تفسخ منها وما تكسر ، سائلاً عديم اللون والطعم والفعالية ، ولكان عديم الرائحة لولا ان رشت عليه حفنة من بهارات الهند وفلافلها . هذا الخليط من السوائل صبه فتاناً في قالب اقطاعية وبليلة تفكير ، ونادى به على الناس انه اشتواكية تقدمية تكفل الشفاء من الامراض جميعها وقد يكون اقرب الاشياء التي تشابهها كيس الخيش الذي نستورده من الهند ، والذي لا يقف إلا حين يمتلىء بمحصول غريب عن

وعائه ، على ان في اعلاه من الشيوعية زيجاً احمر .
وفي هذا البلد منظمات كصواني المعابد يطاف بها لاستجداء
المال ، وغيرها لاستجداء النفوذ ، وتشكيلات رجعية
جديدة ، كلها ثقوب مستحدثة في غربال متهرىء عتيق .
هذا والشعب في نقمته ، متفرق في ركذته وجهوده . فمنهم
من يرفه عن نفسه اذ يتشاءب في مقالة واعظة ، أو من يفرج عن
كربته بشتيمة ، ومنهم من يبرىء ذمته بالدعوة الى مساعـدة
الفقراء والمظلومين ، فيما هو ينتمش من تحمة لينغفس في تحمة ،
ويفرغ من عدو ارباح صفقة ، ليرتب ارباح صفقة .
ومنهم من يهمهمون ويهمون ، ولا يعزمون ولا يفعلون .
ومنهم المسرف في العويل والصهيل بحسبها للجهاد نفيراً
ومنهم من تطلع الى ما تحت سريره ، فلما أمن أن ليس هنالك
ما يخيفه ، أوصد الباب ونام قريراً .
ومنهم جماعات لم تتحرر بعد من غريزة البهائم ، فهي تسير
خلف كل من ارتفعت اذناه عن القطيع وعوى امامه .
وربة باخرة دوى صوت ربانها ، وازدهى ملاحوها ، وشعت
نوافذها ، وضخمت مداخنها ، وغاصت في وحول المفوضيات
والجاسوسية مراسيها .
غير ان جمهور هذه الامة نبيل يتوق الى الكبر ، والنظام ،
والحرية ، والحق ، والقوة ، والعدالة الاجتماعية .
ولقد استجاب الله لصلوات هذه الامة ، فظهرت في الشرق
- وقد اقتصررت رسائل الشرق حتى اليوم على الروحانيات -

لأول مرة ، عقيدة مادية روحية ، قومية اجتماعية ، واضحة الهدف ،
والموحيات ، والوسائل ، ساذجة ككل شيء عظيم نبيل ، تقول
بفصل الدين عن الدولة ، وبهدم الحيطان التي سورت الطوائف ،
وبتنظيم الاقتصاد على أساس الانتاج ، وبانصاف العامل والفلاح ،
فاعتبق هذا الايمان فتيان وفتيات كهروا في عيون انفسهم حين
تحققوا انه يجب ان تكون لهم كرامة المواطنين . وفولدت
العقيدة ارواحهم ، فلم يعودوا رمالاً تذريرا الرياح ، ولا حصى
تتطاير تحت الاقدام ، بل قطعة من باطون تحطم ولا تحطمها
الرؤوس .

تدافعوا على طريق الحياة نحو المصلحة العامة ، اذ انهم لا يعرفون
ان هم مصلحة خاصة .

ما تبجحوا بالارواح على ما وقفوها ، واكنهم وهبوا .
ما تغنوا باللاطائفية ، لأنهم يحبون الاخاء الصحيح . هدفهم
وجغرافيتهم وشخصيتهم واضحة بيّنة الخطوط ، لا بالهقدة ولا
بالمزدوجة .

أحيا الفرد منهم نفسه على اتمها واجملها واقواها ، حين افنى
نفسه في مجتمعه .

في صلب دستورهم وتعاليمهم ان المرأة والرجل متساويان في
الحقوق . ومن عناصر ايمانهم ان ليس في الامة طبقات .

وهذه الحركة رُميت بالتهم ، ورشقت بالوحول ، وفي كل مرة
ارتدت التهم والوحول خزيّاً في وجوه الرامين والراشقين .

هذه الموجهة يجب ان تنطلق لتغسل ادران هذا المجتمع ، ولتشهد

قوتها الى عجلة حيويتنا ، فنصبح الامة التي نستحق ان نكونها .
ان مئات الالوف من المواطنين يتلمسون في نفوسهم الشوق الى
الاصلاح ، والتقدم ، والمساهمة القومية ، ويجدون في هذه العقيدة
مدرسة تربية عالية للرجولة الحقة .

ان التجدد والاصلاح والنهضة ، 'تختصر بعمل واحد ، وهو
ان تفسح السلطات المجال لهذه العقيدة ، فتحتكم الى الشعب ، وتضع
بين يديه سفرها . وللشعب ان يتقبلها أو يرفضها .

لا ادري من يبسم لي في غد ومن يعبس ، فللباسم اقول :
« اعود الى تفكيري وكتابتي فاجدك يا أخي رفيقاً لي منذ عهد
الصبا والتلمذة ، ولكننا اليوم تعارفنا . » وللعابس ، من قريب
او غريب ، أصبح : « لقد بلغت انا في حياتي وتسياري نقطة
الارحوع ، فان كان هذا يغيظك يا أخي ، فهنا نفترق . »

كنت 'أحسب ان الكبر ، كل الكبر ، في الخلق والسيادة ،
ولاول مرة في حياتي اشعر ان في الخضوع كبراً إذ انحنيت 'واعتنقت
عقيدة من خلق وساد ، ثم اختصر البطولة اذ ركع وقال جلاديه :
« شكراً » .

وثيقة نسحو الضمباء

بعد ان ثارت علي عاصفة صحفية
كان اكثر الذين زوبعوها من اصفي
اصدقائي وعشرائي .

اكثر الدروب في لبنان تؤدي الى الهاوية .
وقبل ان تنزلق الاقلام التي تصدت للرد علي بياني الى صعيد
من الجدل لا أريده ، ولن اهوي اليه ، اريد ان اعترف فوراً
بكل نقيصة رميت بها ، فاقراً اني رجل لا شأن له في الحياة ،
وان حافزي الى هذه الخطوة طموح جامح لكي اظفر بعضوية
في بلدية بعقلين ، واني مدفوع ومأجور ، واعلن سلفاً ان كل
ما سأنتههم به صحيح ، فاختصر الطريق علي المهاجمين بالاعتراف
عن جرائم سوداء في ماضي وحاضري .

واعتذر الى بعض الصحافيين الاصدقاء الذين عتّبوا عليّ لأن
البيان لم يصلهم ، بالقول ان جريدة « الاحد » هي التي تولت توزيعه
ويؤكّد لي مديرها انه ارسل البيان الى الصحف جميعها في وقت
واحد .

وفي هذا الايضاح ما يجب ان يقنع اصدقاء من الصحافيين
اخرين ذكروا انني توجهت للبيان بمديح عن نفسي ، اذ انه ليس
من المعقول لو اني انا الذي مهدت للبيان بمقدمة ان اقول عن نفسي
« صاحب المؤلفات الشهيرة » بل كنت قلت اكثر من هذا
بكثير ! .

ولو ان ذلك الصديقي الحبيب يحسن القراءة بقدر ما هو يبدع
في الكتابة لما اتخذ من اقوالي موضوعاً لافتتاحية بل لكان هو
اول المهتمين .

أما أصحاب « البيرق » فاهنى فيهم التهذيب الرفيع ،
والامانة لأخوة لنا شرف ورائتها اكثر مما لنا فضل خلقها ، وانهم
وسواهم من اشراف الناس لو اعملوا البصيرة ، وتحرروا ، فحاولوا
ان يحملوا الماضي الجميل الى الحاضر ، بدلاً من ان يشدوا هذا
الحاضر الى الماضي ، لاكتشفوا انهم في صفوفنا « صفوف النهضة » ،
وان الاحياء ، من احياء وغائبين ، تروقهم هذه النفرة الى الامام .
غير اني اود ان اذكر هؤلاء الاخوان ، وغير الاخوان ،
انني لست انا رهن المحاكمة .

انني راض بما يعرفه الناس عني وبما يلهجون به وبما كان يجيء
على السنة ناقدى اليوم ، المغدقين المديح علي في أمسي .

ما انا بالشخص الذي يعنيني هذا البحث . نحن امام حاضر
أمة ومستقبلها ، ووسائل النهوض بها .

يعيبون على عقيدة الحزب السوري القومي الاجتماعي انها
تناهض العروبة . هذه مغالطة وتشويش ، نحن نقول بالعالم العربي

وبالجبهة العربية - جبهة تصطف فيها القوميات كما يقررها التاريخ ،
القديم والحديث والمعاصر ، وكلما تتطلبها مقتضيات اليوم . لا نريد
عروبة يكون الدين من عناصرها لأنها هكذا تحمل في نفسها
اسباب هلاكها .

لا نريد عروبة البكاء على الاندلس وحفظ اقوال الزمخشري ،
وما حدث به ابن المعتز عن ابن المهتر .

لغيرنا العزة القعساء . نريد عزة هي موديل ١٩٥١ - ١٩٥٢
ويتهمون اصحاب عقيدتنا بالتنكر للبنان . اي منطق هذا !
من يزعم ان من يريد خدمة امته هو بحكم الطبيعة متنكر لأمه ؟
نريد لبنان فكراً شاملاً وقوة منطلقة ساحقة . لقد نشرت لي
مجلة « الصياد » كلمة منذ سنوات خمس قبل ان عدت من المهجر
جاء فيها : « أريد الوحدة السورية بعد ان تقرع لها اجراس
الكنايس في بشراي ، وبكفيا ، ودير القمر » . هذا ما تبشر به
عقيدتنا اليوم وما بشرت به امس . وهذا ما تبتغيه الفئة الصافية
الذهن المتطلعة الى المستقبل .

لقد بشر « هربوت هوفر » بـ « عالم واحد » فما سمّي خائناً
ولا نصبوا له مشنقة . نحن لا نؤمن بلبنائية تفجر الديناميت في
المآتم وتقتصر على التسبيح للأرز ، وتلهو بذكرى ايجاد غابرة ،
ووصف الحنين الى المغتربين .

لقد قلت لهم في حفلة « الكتاب » في السنة الماضية : ان فخر
الدين مات والمير بشير مات ، وصالح الدين الايوبي مات . واقول
الآن للذين يتهمونني بافي غيّرت عقيدتي ، ان اكثر ما ناديت به

قبل اليوم نشر في الصحف فها توالى عبارة واحدة مجدت بها حزباً ،
او دعوت بها لعقيدة ، ارجعوا الى ما طبعتموه انتم ، واروني
كلمة واحدة قلتمها تشرد عن موقفى اليوم .

ثم اتركوا النظريات التي تبدأ بجدل لا ينتهي وقولوا لي أي
داء كان أفتك بنا من الطائفية ؟ وأي شخص محامياً للطائفية من
نفوس المواطنين ؟ وأي ايمان غير ايمان القوميين الاجتماعيين اجترح
هذه المعجزة حتى اعتنقه ؟

حين أعلنت الحرية في زمن السلاطين العثمانيين تعانق رجال
الدين في بيروت ، وفي سنوات فيصل هتف الشباب المحمدي للشباب
المسيحي ، ومنذ سنتين تجسد الوثام والود في وليمة تاريخيه بين
« الجناحين » تمثلها النجادة والكتائب . وبعد ان تجسد الوثام
وزال التعصب تفجر الود في العيدين على ساحرة البرج في العام
الفات ، رصاصاً من رشاشات ومسدسات ودويماً من قنابل .

صار لنا عشرات السنين والهلل يعانقه الصليب والجناحات
يرفآن ، والقوافي تؤلف بين الأهله والصلبان ، والامة سائرة
القهرى ، حتى جاء ايمان الوطنية الحق الذي شفى الامة من
افتك أوبئتها .

لا احتاج الى تسمية هذا الايمان بل احوّر قولاً لرفيق اسد
الاشقر : « كوم التبن لن تبدد الزوبعة » .

في اول مارس

ولد النزي بعث الأمة

[في سنة ١٩٤٦ وجه سعيد تقى الدين - وكان عامئذ في الفلبين - رسالة الى صديقه محي الدين النصولي قال فيها : « سينقذ الأمة من اسميه «رجل رأس بيروت» ولقد اطلقت عليه هذا الاسم لان كتفيه ستكونان اعرض من صخور الروشة ، ورأسه ارفع من المنارة » ومن الغريب ان الكاتب سنة ١٩٤٦ لم يكن قد سمع بعد بمن هو اليوم موضوع مقاله هذا .]

لم أعش بعد ان انجلي عني ظلّ ابويّ إلا مرات ثلاثاً في ظل انسان ، استمرت اولها شهوراً ستة حين لجأت - هكذا تبدو الحقيقة اليوم - الى مكتب كامل حماده في « مانيلا » ، فعقدت معه شراكة أقاسمه فيها ارباعاً مرجوة . وبينما نحن ننتظر الارباح ، كثيراً ما فصلت بيني وبين الجوع إشارة بقلم رصاص يدونها كامل حماده امراً لامين صندوقه بدفع ريبالات خمسة . وفيما كان الامتنان يغمر قلبي ولا افوه به اذ ذاك ، وانتشي باذاعته اليوم ، كنت كثيراً ما يتأكني البغض - بغض كامل حماده - واسائل نفسي : أي حظ ، أي نظام ، أي قدر حكم ظالماً فجعل من

هذا الرجل محسناً وجعل مني محسناً اليه ؟

وفي حزيران الماضي عشت ساعات اربعاً في ظل رجل آخر هو شارل مالك ، حين خلوت به في « النادي الدولي » التحدث اليه لأحدث الناس عنه . واني على شفقي به لم املك نفسي خلال تلك الساعات من كبح موجات من النار تثور في نفسي وانا اسألهما : لم أحدث الناس عن هذا الرجل بدلاً من ان يتولى هو التحدث الى الناس عني ؟ ان كان في الدنيا من لا ينقم على نفسه لانها ليست في الذروة فهو إله يُعبد او صعلوك لا شأن له .

وان مقياس كبر النفس ليس في انعدام هذا الشعور بالنقمة ، وهي من حوافز الطموح ، بل في ان تتهرأ هذه النقمة على نفسك ، فتصبح حسداً لسواك ، او في ان تتصلب وتحشن فتنتطلق عدواناً لئياً يتنقص من قيمة من يتفوق عليك

واليوم - وهذه هي المرة الثالثة التي أحيا خلالها في ظل انسان - إذ أصبحت القومية الاجتماعية دفعة حياتي - اسأله نفسي : هل انعدم في نفسي شعور النقمة على خالقي هذه العقيدة بسبب ان جسده دفن ؟ أتراني كنت انضمت الى صفوف القوميين الاجتماعيين لو ان مبدعها لم يضم رفاته التراب ؟ أكانت انانيتي وكان اعتدادي يردعاني عن الاعتراف بتفوق مخلوق ؟ وقد يكون من السهل الكذب والجواب « نعم » أو من مجاورة الحقيقة ان اقول « لا ادري » . ولكن الذي يعنيك من هذا الامر ويعنيني هو اني اليوم اشد احتراماً لنفسي إذ أقررت بفضل كامل حماده واحبيته ، وحين وجدت لذة بان التحدث عن شارل مالك .

وهذه الذنون المتقمرة بين ألفين ، صميم الـ «أنا» هذه الذات التي
عبدتها وطالما ازدهيت بها ، والتي من صلب العقيدة القومية الاجتماعية
وأول شروطها ان تذوب وان تفنى ، أحقها انها المحت ؟ أليس من
العيب ان يقوى الانسان على ان يفنى نفسه وان يذوب ؟

الجواب بسيط ليس فيه اضطراب ولا تناقض ، بل ان فيه
حقيقة وعمقاً . ان الواحد منا يحب نفسه ويذكيها اذ ينكرها .
ان أشهى لقمة تأكلها هي لقمة تطعمها لسواك . ان الامومة التي
جوهرت نفس امك وامي ورفعتها ووسمتها بطابع الالوهية ، إن
هي الا انكار الذات وتذويبها وافنائها ، وبالتالي احيائها .

يسألونني : هل عرفت ذلك الذي نفذ عقيدته فناء بخلود ؟ أقول
لقد اجتمعت اليه مرتين خلت ثانيتهما طويلة . واليوم ارى انهما
جاءتا تمهيداً لاجتماعات مقبلة . وها انا اجتمع اليه كل يوم من جديد
واتعرف اليه كل ساعة .

لعل ارنحس انواع البوح عن النفس هو الكلام . قد يكون
المهندس اسد افصاحاً عن عبقريته حين يصمت مشيراً الى
الطريق التي اشتقها ، والجسر الذي بناه ، والتصور التي شادها .
هذه الطريق التي اسير ويسير عليها الالوف من الرفقاء اشتقها
يداه ، وهذا الجسر الذي وصل ماضياً بعيداً مجيداً بمستقبل قريب
مجيد هو الذي بناه . وهذه القصور التي شادها صاحب العززال في
نفوس المواطنين ، كلها تحدث بالتصاميم والخرائط والبناء التي
صنعتها يدا رجل الجيل الجديد .

في تاريخنا الحديث ظهر في بلادنا من اوحى البطولات نقمة

على شيء ، واستثار الناس الى هدمه . لأول مرة في تاريخنا الحديث ظهر من استثار البطولات استنفاراً لصنع شيء ، وكانت النعمة في هذه البطولات عنصراً جزئياً لا الحافز الطاعني .

ان البطولة تمجد كيفما ظهرت . ولكن البطولة التي تحدوها بهيمنة البغضاء فحسب ، لا تبني ولا تحيا ، بل هي تنتحر حين تفترس . هوذا تاريخنا في كلمتين بعد عهد الاستعمار : افتراس فانتصار . اما القومية الاجتماعية فهي أبعد ما تكون عن الحق والعداء والبغضاء ، فهي تسمو كلما انتصرت ، لأن الافتراس والتهديم ليسا من حوافرها . وهذه العقيدة ليس لها حد تقف عنده ، اذ ان الانتصار المتجسد بتحقيق هدف جغرافي حدوده العلم والتاريخ والمنطق والمصلحة - هذا الانتصار ماهو بالغاية النهائية الكبرى التي نهدف اليها ، بل ان هذا الانتصار هو نتيجة جزئية محتمة لانتفاض النفس القومية الاجتماعية ، التي لا حدود لامكانياتها . اذاً فحركاتنا هي بطبيعتها أبداً متجددة منطلقة تأبى الوقوف عند حد او الجود أو الركود . فنحن ان نصل الى يوم نهلك فيه : قد وصلنا .

ولقد سبق ان قام في هذه الارض من جمهر الناس اغراء أو تخويفاً او قملقاً ووعوداً . ولكن من معجزات رجل الجيل الجديد - واعماله لا توصف باقل من انها معجزات - بل ان من معجزات رجل الجيل الجديد انه استهوى بالحقيقة وبالعلم المجرد ، فجاء الايمان بعقيدته اقوى الايمان لأنه استهوى من النفس البشرية اسمى عواطفها ، واعمق مداركها ، لا بهيميتها ولا أثرتها ، ولأنه

د لها على الاقتدار الكامن فيها - في الروح التي يحيا بها جسدها ،
وفي الجسد الذي هو جهاز روحها ، ولأنه عرف أرضها جبهة
يقا تل من اجلها مواطنون وفيها ينتجون .

ان الذي ولد في أول مارس ، وارتفع رأسه الى أعلى من
منارة رأس بيروت ، وعرضت كتفاه فهما اقوى من الروشة
واضعهم ، هذا الرجل يد فيئه في هذه البلاد يوماً بعد يوم . وان
الالوف من الرجال والنساء هم اشد احتراماً لأنفسهم وثقة بها
و بمستقبل الامة لأنهم يعيشون في ظل عقيدته

أريد ان انشئ فوج دمي ...!

مقدمة المقدمة : مهدت المجال
بالمقدمة إذ ان القانون منع التحدث عن
جورج عبد المسيح وهو المحكوم
بالاعدام مرات كثيرة .

[كان مطعم مطار بيروت مكتظاً حين فتشت عن كرسي فلم أجده . وهممت
بالخروج فاذا بفتى منفرد الى طاولة يدعوني ويقدم لي الكرسي الوحيد قبالة .
وتعارفنا وسهرنا ؛ فقرأ علي الكثير من كتاباته ، وحدثني عن أسفاره .
واخبرني انه مسافر الى البرازيل ، ورجاني ان انشر له الحديث الذي تذيعه اليوم
« صدى لبنان » حديث اشرف عليه - كالعادة - رفيقي محمد يوسف حمود
ولا أدري كيف نسيت اسم محدثي ذاك .
ولكنه وعد ان يكتب لي ثانية .]

« بلى . بلى . اني اعرف هذا الرجل . لقد اجتمعت به فيما
سبق . اين . . ؟ اين . . ؟ مدينة بومباي . . ! »
بهذه الكلمات كنت احدث نفسي حين واجهني جورج عبد
المسيح لأول مرة .

وكدت لا اسمع الكلمات القصيرة التي تمارفنا بها . وظلمت
مدينة بومباي مائلة أمام عيني حتى دخلنا غرفة صغيرة كأنها قفص .
وراح جورج عبد المسيح يقدم كرسيًا عاملاً غلاية قهوة عرفت
فيما بعد انه اعدّها بيديه . ونظف مرمدة سكاير . ثم نقل طاولة
الى حيث جلست ، وكان يقوم بهذه الاعمال لا بتأديب من يعتمد
الكياسة الاجتماعية بل شأن من ألفت يداه تولى اموره .

وكنّت متأكدًا من انني لم اشاهد لهذا الرجل صورة من قبل .
ترى كيف خبيل لناظري انني اجتمعت به فيما سبق ؟! « بومباي
بومباي ... ما علاقة جورج عبد المسيح بمدينة في الهند ؟! »

وبعد ان نظف واصلاح وهندس ، دار بظهره اليّ في طريقه
الى كرسيه خلف طاولته ، فاذا الشعر الكثيف يبدو كلبدة ،
واذا بصخرين يوران فوق عضلات ، في زندين وساعدين ، تكاد تمزق
الكمين ، واذا هو يخطو على مهل كأنه يمشي على وقع موسيقى
هادئة .

وحدقت به فاذا هو اقصر مما ظننت واضر بما توقعت .
وتطلع بي من غير ان يعبس ومن غير ان يبتسم ، فشخصت
بي لحظة عينان فيهما حذر وفيهما يقين ، تتألق بهما الشجاعة لا شرسة
مبتذلة بل صافية سامية هادئة .

وشعرت بشيء من الرهبة حين خلوت به في تلك الغرفة التي
تشبه القفص . وتكلم جورج عبد المسيح فاذا في صوته بحجة وفيه
هدير . ولاحت مدينة بومباي من جديد . وفجأة ادركت
كيف يتآمر الشعور مع العقل اللاواعي ، ففي مدينة بومباي

رأيت الاملد لأول مرة وسمعت تهداره ، وكان الاسد في قفص .
واستأذني دقيقة ليكتب مقالاً وما ان ذكر كلمة « أكتب »
حتى شعرت بتيار يصخب في عروقي ويثب موجة عارمة تنصب في
فراغ كان هناك . واذا بنفسني نقمة محرقة على هذا الجالس قبالي
— هي ثورة الرجولة على تأنث الخضوع الذي تملكني لمحبة واذا بي
بركان من البغض والمقت والكراهية والازدراء يجيش على هذا
الذي استبحال عدواً في لحظة واحدة : وكأننا هو اراد ان يسهل
مهمة الكراهية علي حين انبري « يكتب » في « حضرتي » .
وأنت بهذا الهزء يطفو على تحرق العداء . ورحت انظر الى
تلك اليد الضخمة ، وطابة من عضلات تكوَّمت هضبة بين الابهام
والسبابة .

انه « يكتب » .

انه لمشهد مضحك — جورج عبد المسيح « يكتب » . هذه
يد خلقت لتلتف حول معول لا قلم . أو لتغرف قنبلة .
انه « يكتب » هذا الجورج عبد المسيح .

واسرعت الصفحات امامه تمثلي . كيف يكتب هذا
« الكاتب » ؟ أهذا القلم حنفية تنفتح عن برميل ؟ وشارة « الزوبعة »
امامه وخلفه وعلى الحيطان !

وسألته ان يطلعني على ما سطره بلمحة المعلم يطلب من التلميذ
ان يقدم له « الغرض » الذي كتبه .

وقرأت ما كتبه جورج عبد المسيح فكان ذلك بدء الطريق
التي لا تنتهي .

منذ تلك اللحظة أيقنت ان من يصيب القليل من الشهرة
يستقطر غروره من اثره خمرة تنفخ اوداجه فتشمل عيناه ويسفكس
هناك متعبداً في صومعة ذاته .

و كثر ترددي عليه بعد الزيارة الاولى . وتأرجحت عواطفي
حياه من مقت وكراهية ، الى ودّ ومصافاة . واني لأذكر
ساعات كان اشهى ما لدي ان يغيب هذا الرجل عن فكري
ونظري الى الابد . وها انا اليوم - بعد ما يقرب من السنتين -
أجدني اسفغ ما اكون به اخوة واعجاباً .

في يقيني ان لهذا الشعور سببين . اولها ان قد ترفعت نفسي عن
تلك الاثرة التي تستثير العداء لكل متفوق في السلطة او القوة
- اي مناحيها - من عقلي وجسدي ، واتحدت في ولاء لايمان
صهر الجهود فاصبح الواحد يجد في انتصارات رفيقه وكبره كبراً
لنفسه وانتصارات لها . والسبب الثاني ان سنتين من معاملة ومباحثة
كشفت لي عن هذا الرجل ، كل مناحي نفسه ، فتأدى اعجابي به وودي
له حين وضع قطعة انسانية كاملة .

ولغير مناسبة ، ولغير سبب ، قصدت اليه استنطقه هذا
الحديث ، وقد لا يكون لهذا الحديث من حافز الا اني صرت
افهم هذا المواطن بعد ان اختبرته غاضباً ، راضياً ، ثائراً ، ساكناً ،
واعظماً ، متعظاً . وصار من الواجب ان تتعرف الامة من جديد
الى هذا المواطن ، وهو بعض ثروتها الوطنية المواترة في حناياها .
سألته السؤال التقليدي فاجابني :

▲ ولدت في زاوية البيت . وبيتنا اليوم خربة فوق «عين المشرع»

قرب « بيت مري »

— ابوك ؟

▲ مات ابي إبتان هري في ٢ آذار ١٩٤٣ .

— ممن هربت ؟

▲ من سلطات الحلفاء التي تمركزت في حذب . حكموا علي
بالاعدام بتهمة التجسس للامان . وكنا نحن القوميين الاجتماعيين ،
معتقلين عند الالمان الذين اتهمونا بالتجسس لهم . الحقيقة ان الانكليز
قبل زحفهم نحونا من فلسطين نفثوا قطيعاً من اليهود الذين
يتكلمون العربية فجاءت تقاريرهم تقول اننا نحن القوميين الاجتماعيين
نؤلف قوة مقاتلة ، فبادروا الى شطبنا من هذه المنطقة الحساسة .
— وامك ؟

▲ هي في بيت مري ، عمرها ٨٣ سنة ، انها لن تراني فهي قد
فقدت نظرها ، امي عمياء ، لا تسليني عنها ، لا اقدر ان اتكلم عن
امي ، سل سواي يخبرك . عبد الله قبرصي مثلاً ، او اسد الاشقر ،
او جورج مصروء .

— قل لي شيئاً عن طفولتك ، عن ثقافتك .

▲ اول محاضرة سمعتها كانت من ابي . كنا نحرث في الحقل .
اي ان ابي كان يسوق الفدان وانا اضرب بالمعول خلفه . اقتلعت
الكثير من جذور قاسية عميقة — جذور التيول — وحملتها الى حقل
جارنا العدو ، ورميتها لكي تنشب في ارضه . ورجعت اخبر ابي
فيخوراً بما فعلت . فخلع ابي النير عن الفدان ومشى بي الى فيى ،
شجرة ، وهناك جلسنا استمع الى اول محاضرة في حياتي . ان

أبي لم يأمرني بأن أفعل شيئاً ولكنني بعد سماع محاضراته رحت الى
محقل جارنا واحرقت جذور التيول . هذه اول معركة انتصرت
فيها على نفسي .

— وغيرها من المعارك ؟

▲ كثيرة . اذكر منها معركة الخوف في الحرب العالمية
الاولى وكان عمري ٦ - ٧ سنوات . وكان لي عم ، اسمه جورج
عبد المسيح ايضاً ، حكم عليه الاتراك بالاعدام لانضمامه للحركة
الامر كزية . وكان مختبئاً في الحرش قرب بيت مري . و كنت
اذهب اليه في الليل ماراً بالشكنات العسكرية حاملاً الزوادة
وكثيراً ما رأيت الوحوش تنهش جثث موتى الجوع . وصرت
استلذ الاخطار واتمهل في سفراتي الليلية . لي عم آخر اسمه يوسف
عقل عبد المسيح مات في نيوزيلند متحرقاً . لقد قصر عمره عبيد
الاتراك ، وعبيد الانكايز ، وعبيد فرنسا .

— حدثني عن انباء قتالك ؟

▲ كثيرة . فلسطين مثلاً . حاربنا سنة ٣٦ وسنة ٣٨ . فرقة
الزوبعة . قتل هناك سعيد العاص .

— أكان سعيد العاص قومياً اجتماعياً ؟

▲ بالطبع كان قومياً اجتماعياً . انا الذي كرّسته . كنا في
فرقة واحدة ولكننا لم نكن معاً في المعركة التي قتل فيها . مات
وشارة « الزوبعة » على صدره . وقد انتزعها ضابط بريطاني حملها
الى بيروت يفتخر بها . وقد هناك يومئذ مواطنون أفاضل اتهمونا
فيما بعد اننا تحالفنا مع اليهود . بعض هؤلاء الافاضل هم اليوم في

بيروت، في مراكز السلطة والمال تحفل الجرائد بصورهم وأخبارهم
ومواعظهم الوطنية. كان قائد فصيلي في فلسطين عبد الرحيم الحاج
محمد. اذكر من الأبطال رفيقي بشير فلاحه (دمشقي)، وبشير
الزعيم هو رئيس الأمن العام في اللاذقية اليوم. استشهد بعضنا في
تلك المعارك - عشرة، اثنا عشر، لا اذكر. نحن لا نعد قتلانا.
وبعد وقوف المعارك اردنا ان نقيم لشهداءنا حفلة في بيروت،
فاعتقلنا الفرنسيون وحاكمونا وسجنونا.

- حدثني عن سرحول سنة ١٩٤٩.

▲ كنا في سرحول ثمانية.

- قتل احدهم - محمد ملاعب في تلك المعركة؟

▲ لا. لا. محمد ملاعب لم يقتل. انه جرح في المعركة.
ونقلوه الى السجن مكبلاً ودمه ينزف، واحذية ثقيلة ضخمة
تدوسه في الشاحنة وفي باحة الأسر.

وهنا خرس لسان جورج عبد المسيح فسمعت صرير اضراسه
تجرح الذكريات، ورأيت قذائف الكلام تطلقها عيناه لا شفتاه.
ثم أردف متحرقاً على محمد:

▲ في ساحة الأسر ضربوه وشتموه. وهناك رفع محمد
ملاعب رأسه وضرب به الأرض. ان العشرات من مواطنينا
رجال الدرك ما يزالون يروون المشهد الصارخ، كما يردده العشرات
من رفقاءنا الذين كانوا يطلون آنذاك من وراء قضبان الحبس.
ان القوميين الاجتماعيين كلهم يحسون في جباههم اليوم والى الابد
عزة جراح محمد ملاعب، وفي قلوبهم رجفة ارض بلاده حين هزّها

هذا الشهيد برأسه .

— ما هي اكبر حسرة في حياتك ؟

▲ هي انني لم استشهد حتى اليوم . اريد ان اموت بالرصاص متخبطاً متضرعاً بدمي . اريد ان انشق فوح دمي . اريد ان اراها تشخب متفجرة من عروقي وان تطول ساعة احتضاري وان لا يغيب وعي لأتمتع بروية نفسي كيف تموت لتحييا سوريا .
وسألته :

— كنت اتوهم ان مقتل سعادة كان لك اكبر صدمة عاطفية ؟

▲ عن أية صدمة عاطفية تتكلم ؟

لم افجع بالزعيم إلا كما يفجع الجندي بقائده صرخته الخيانة في أوج المعركة . كنا - ولا نزال - في ذروة معركة انقاذ هذه الامة من مشعوذها ، من خونتها ولصوصها وطواغيتها ، من مستغلي عمالها وفلاحها وفقرائها وجهالها وضعفائها . من الذين اخترعوا المثالية وسيلة للأناية فتوردوا بمسوح الانبياء . أراد الزعيم ، ونريد ، انقاذ هذه الأمة من النظام الذي صنّف المواطنين طبقات ، وطوائف ، ووسم الشعب بمسمة العبودية للأجنبي ، ولعميل الأجنبي ولتجار الدين والوطنية .

— من هم اعداؤك ؟

▲ ليس لي عدو وانا فرد لا أهمية له إلا بمقدار ما ينتج في سبيل حركة تعبر عن الحياة وعن عظمة هذه الأمة . والحركة اعداؤها اعداء هذه الامة . ونحن نعتقد ان في كل مواطن خيراً اعتقته فيه حياة امتنا . وان حررنا من مهاتنا ان تكشف عن

القوة والخيول والجمال الكامنة في نفوس المواطنين . ليس لنا عدو وكل من نفذ مبادئنا فهو صديقنا . على انه يستحيل على فرد ان ينفذ كل مبادئنا ويفصح عن كل ايماننا إلا اذا انتظم وفعل .

- أصبح ان في نفسك حسرة لابتعادك ورفقاءك عن لبنان ، ولبقاء المساجين القوميين في الحبوس ؟

▲ نحن لا نعرف من الحسرة إلا الحسد ، حسد الرفيق للرفيق يسرت الحوادث لأحدهما شرف التضحية واستثنت الآخر . اما الابتعاد والسجن والموت والفقر والاضطهاد فكألم مخاطر توقعناها وتحدثناها عندما تجندنا لخدمة الأمة . وما لم نطقن له نبهنا الزعيم إليه بقوله « ان آلاماً عظيمة ، آلاماً لم يسبق لها مثيل في التاريخ تنتظر كل ذي نفس كبيرة منا » . يتوهم البعيدون عنا ان أيام صراعنا ولّت . اقول لك ان أيام الكفاح أمامنا لا خلفنا . اخترنا الحونة والكذابين والدسائس . وعرفنا المغاور والسجون وميادين القتال . المبتعدون ؟ أي مبتعدين ؟ اما الذين منا عن لبنان مبتعدون ، فمن هو في الكويت او الموصل او القامشلي فهو في وطنه لا مغترب عنه . ومن هو عبر الحدود فهو معنا في الحركة ، واما الاسرى - اقول الاسرى - فلا نحن نلتاع عليهم ولا هم يلتاعون . انهم ينفذون واجباً عادياً . وليس أسفنا الا بقدر حرمان هذه الأمة من انتاجهم الكامل ، غير انهم هم ينتجون لحداً ما ، والانتاج من تبشير ، وثقيف ، وتقوية نفس ، هو من فروض القومية الاجتماعية .

- ما حالة الحركة القومية الاجتماعية في هذه الايام - انتشارها

وحيويتها وفعاليتها ؟

▲ الحركة مثل كل حياة هي تنمو وهي تنتصر ، وهي ابداءً
تمر في ازमत خلال صراعها . ولكننا منتصرون ، ولقد فعلنا
حتى في نفوس اعداء امتنا ، اذ اصبحت اساليبهم في مقاومة
اقل حساسة ، وفي بعض القطاعات اقتصرت المقاومة على الصراع
الفكري وهذا ما نحترمه ونريده .

ولسبب ما تراءى في خاطري جان جالغ يحاضر في مطعم
العجمي وفيليب خرغام خلف مذبحه تحت شجرة العذلية ،
وتصورتها يقرآن هذا الحديث ويهلقان عليه ، فهرعت انتقل الى
موضوع سياحي مشير .

قلت :

- ما موقفكم من العداء القائم بين المعسكرين الروسي والغربي ؟
وهذا الحديث عن تفاهم مع تركيا ؟
اجاب :

▲ ان تركيا التي استعمرتنا يشوقها ان تستعمرنا من جديد ،
وعبيد الاستعمار من الذين تستلذ رقابهم النير لذة «فرودية» بدأوا
يرحبون بهذه الفكرة . يهمننا من النزاع العالمي مصلحة امتنا . ولن
نضحي بهذا من اجل شرق ولا غرب . نحن اعداء الاستعمار
ونقاوم الشيوعية لانها وسيلة استعمار روسي ، ولانها عقيدة مضللة
باطلة . ولكننا لن نسمح للغربيين ان يستغلوا عداءنا هذا للشيوعية
ليبيعونا بيعاً مصالح هي من حقنا . ولا تنس ان المواطن يبقى
مواطناً لنا حتى ولو ضلته الشيوعية . يدعي الغربيون انهم

يشتغلون من اجل عالم حر ، ونحن لم نر من اعمالهم الا اضطهاداً للحرية
قلت : حدثني ماذا فعلت هذه الحركة .

اجاب : - انها انتصرت فينا .

و كانه لمح صورة جان جلخ وفيليب خرغام تتخايل امام
عيني ، فأوضح :

- اسمع . كل من اعتنق عقيدة النهضة ظهرت نفسه ، فلم يعد
طائفيّاً ولا قبايليّاً ولا انايياً يسخر المصلحة العامة لمصالحه الخاصة ،
وشعر بمسؤولية نحو بلاده تحفزه للعمل من اجلها ، واحترم نفسه
فانتفض مطرحاً عبوديته للاجنبي ، والاقطاعي ولتجار الوطنية
والدين ، وتعاون مع رفقاءه ومواطنيه و ... و
فقاطعته :

- وهذا الصيت الذي انتشر من انكم جماعة ارهابية ؟

▲ نحن لا نؤمن بالعنف ، ولكن قطار الحياة يمشي معترضه .
نحن جنود لا قبضايات . ان القائمين على الامر في لبنان اليوم
يفهموننا وان كانوا يتجاهلون . هم يعرفون عنا بالاختبار والتجربة
متى نعلن التعبئة ولماذا . نحن ننفذ ارادة امتنا ومصالحها وميعادها
مع العظمة . ليس منا من يبغى شيئاً لنفسه ومن طلب شيئاً
لنفسه فما هو بالقومي الاجتماعي . نحن ابدأ مستعدون للتضحية
عن وعي في سبيل المصلحة العامة ولا نأبه للتوافه والحقارة .

الحياة صراع ، والموت من شروط استمرار الحياة وتغذيتها .
الحياة تفرض النمو وتنتدب للموت سلباً وإيجاباً ، من صفوفنا او
من خارج صفوفنا من يفنى ليحيا فيزول او يزيل حاجزاً يعرقل

الحياة . هذه نظرتنا للواجب . والقومي الاجتماعي ليس له من حقوق باكثر من اي مواطن آخر . غير ان حركتنا تقسو عليه باكثر من قسوتها على سواه لأنه أشد وعياً ، فهو اذن اكثر مسؤولية . تلك المرأة العمياء في بيت مري - أمي - لن اقوم بواجب البنوة نحوها فأني حق الامومة الا اذا كنت متفانياً مع ابناء بلادي من اجلها ومن اجل كل أم ووالد وولد في بلادي ، في نابلس ، في النبطية ، في اهدن ، او في بغداد . ارملة الشهيد - شهيدنا عساف كرم وايتامه - ليس لهم علينا اكثر مما لسائر ارامل وشهداء الامة وايتامهم في ذمتنا .

ودوتى في الغرفة مسكون ، غاذا بشارات الزوبعة التي من حوله تهم ان تعصف ، فتداركتها بسؤال عادي :

- وكيف تقضي ايامك ؟

▲ اكتب نحواً من عشر ساعات واطالع خمس ساعات ، واحاضر وبأخذني التنظيم ساعات ، وفي بعض الليالي انام . ودفعت اليه بورقة بيضاء وقلت له : اكتب عليها اسماء من تعتقد انهم افضل القوميين الاجتماعيين .

قال : ليس بيننا مفاضلة . مبادؤنا وایماننا وتعاليمنا ووسائلنا معروفة - من فعلت به صيرت منه المواطن الامثل . لا يفضل احدنا الآخر الا بقدر ما فعلت فيه العقيدة .

قلت : اكتب لي اسماء من جعلت منهم العقيدة المواطن الامثل ؟ .

فتناول الورقة وكتب على صفحتها : « انطون سعادة » .

- وانت ؟

فاجاب مهسداً : لا . لا انا ولا سواي ، انت تعرف
مئات وانا اعرف الوفاً من رفقاءنا قد تحسب اياً منهم المواطن
الامثل ، ولكن هذه الورقة بيضاء الا من اسم الزعيم وستبقى
بيضاء حتى تبلغ هذه الامة هدفها ، وهدفها يتصاعد ويسمو ابداً
كلما اقتربت منه . صاحب هذا الاسم مات راسخاً على رمل
بيروت ويداه مربوطتان بحبل - بهذا الحبل (واراني قطعة منه
راحت تلاعبها اصابعه) .

قال ذلك من غير انفعال !

وسألته عن ثقافته فاجاب انه تخرج من الجامعة الاميركية سنة
١٩٣٣ شبه متخصص بالاقتصاد ، وانه تعلم الفرنسية في المدرسة وأتقنها
في السجن ، وانه اسس وترأس « الجمعية الحورانية » في مدرسة
بيت مري او برمانا سنة ١٩٢٥ انتصاراً للشورى الحورانية ضد
الفرنسيين . وان احد شعراء لبنان اعجب شديد الاعجاب بشعر
منشور قرأه عليه جورج عبد المسيح على انه ترجمة عن الصينية
ولكنه كان من تأليفه . والأدب ؟ « لن يبرز حتى يتركز الاساس
الاقتصادي ، والاديب يجب ان يشق اثلاماً ويبذر . وفي هذه
الحسين سنة قام اديب واحد في سوريا اسمه جبران خليل جبران .
وفي لبنان اليوم شاعر واحد حي وآخر هم بأن يكون شاعراً .
والنهضة القومية الاجتماعية ؟ « ان ادبها بدأ بالظهور » .

والسياسة ؟ ان القومي الاجتماعي يجب ان لا يهتم بها والحركة
القومية تعتبر السياسة لاجل السياسة ليست عملاً قومياً وهي آخر

ما نهتم به ومبعث الاهتمام هو ان المقاليد في ايدي رجال عقيدتنا
اقرب الى التنفيذ لمصلحة الأمة منا في ايدي سواهم . مشتغلون
بالسياسة اراخنة ينافسون الكوكاكولا والبيبسي كولا بالاعلان
عن انفسهم . نحن نعرفهم كلهم . وخبيرناهم كلهم ، وعاملناهم
كلهم - كل ارجون منهم . لكل واحد رداء يزين ويضخم ويحجب
شخصاً واحداً اسمه «أنا» . والشعب في تشوفه الى الاصلاح والتقدم
يرى الواحة في سراب الاراخين ، فيكثر في فترات من الغفلة
المنبهرون المعجبون المهملون - الخدوعون . وما هي إلا لحظة
وعى حتى يعودوا لا منبهرين ولا معجبين ولا مهملين - لا خدوعين .
والموسيقى ؟ يعرف عنها . والفلسفة ... ها ... هنا لا تفتح
كتاباً بل مكتبة ، هو يعتقد ان انطون سعادة اعظم فيلسوف ، ويتلوه
زينون الروائي ، ولكنه يناقش في عشرات آخرين من الفلاسفة ان
كنت من تلامذتها وطاب لك التحدث عنها من غير ان تخاف
جان جليخ او فيليب ضرغام .

وعدت اسائل نفسي ما الذي يميز هذا الرجل عن سواه ؟ فكان
الجواب سؤالاً ثانياً « هل في هذا الرجل ما يميزه عن سواه ؟ »
لقد استمعت الى جورج عبد المسيح يقصف نقداً مدمراً ، ورأيت
يتلقى قنابل النقد ، وانك لتقرأه بشوق وامعان وتستفيد منه معجباً
بعمق تفكيره وواقعيته . أصغيت اليه يروي بخيلاء صيدانية كيف
كسب في اربعة اشهر - اربعة اشهر فقط - مبلغاً ضخماً ١٢٠٠
ليرا (الف ومائتي ليرا ، لا اقل) متجراً بالخطب ، وكيف تطلع

الى شجرة فرازها بميزيه وحكم : « انها تزن اربعة قناطير » ، وجاء
الوزن - وباللهقرية - اربعة قناطير . واصفيت اليه يشرح لي
عبارة عمقت عن فهمي . وسمعت منه الف « رفة جناح » : « هربوا
وهم قاعدون » « لبخ خبيزة على وجع الراس » . « حاملة الجرة
لا ترى الجرة » . وتطلعت اليه يستمع الى جمع من الطلبة عادوا
من سجن في مصر ايام فاروق (يا نديم دمشقية ، يا ابن خال محمد
البعليكي ، يا من كنت يومئذ في المفوضية اللبنانية في مصر ، يسرني
انك ابن خال محمد البعليكي لا ابن خالي) يقصون انباء سجنهم
ويشيرون الى رفيق لهم خاط شفتيه ببرة وخيط احتجاجاً على
سجنهم . رأيت يستمع الى الحديث من غير ان يلتفت الى الطالب
القومي الاجتماعي او يظهر اعجابه . ورأيت وجهه يشرق حين لبس
بدلة جديدة (بدلته الوحيدة عمرها خمس سنوات) ارسلها له هدية
جورج حداد . من تقول ؟ أي جورج حداد ؟ نعم هو بذاته ، ذلك
الذي اقتلع اذني باسنانه . نحن لا نحقد . على كل حال أذن
واحدة تكفيني .

جورج عبد المسيح يصلح ان يكون موضوعاً لكتب لا
لمقال .

ما الذي يميزه عن سواه ؟ والجواب هو سؤال : هل في هذا
الرجل ما يميزه عن سواه ؟

من السخف ان نشبهه بالاسد . من السخف تشبيه الانسان
بالحيوان . الشجاعة ؟ متى تخلص الانسان من الخوف « وباعها »
يتساوى مع الذين باعوها . القوة الجسدية ؟ انت وانا نعرف من

هو اشد عضلات منه . الفكر ؟ هو تلميذ فلسفة عميق التفكير ،
ولكنني اعرف من يضاهاونه . الادب ؟ في بيروت عشرات من
هم اعلى منه أدباً بالمعنى الشائع . الايمان ؟ كنا يؤمن بشيء .
المرتشي يؤمن بالرشوة وتاجر الوطنية يؤمن بالتدجيل .
إذن ما الذي يميزه ؟

لا شيء ، إلا انه آمن بعقيدة نظمت تفكيره ، ونسقت
اعماله ، عقيدة ارتكزت على العلم والقيم الانسانية - أو بعبارة
ثانية عقيدة صحيحة .

قالت له هذه العقيدة : اطلب القوة في نفسك وانتظم مع
رفقائك . قالت له : أعط . وقالت له : ولاؤك الاول والاخير
لأمتك ومصالحها . قالت له انت لا شيء وحدك والمجتمع كل
شيء معك ، فشعر انه كل شيء لأنه المجتمع . قالت له : كن
شجاعاً ولا تكن ازعر بهواراً ، واغسل نفسك من ادران
التفكير الخفي واهام الطائفية والاقطاعية وعلم الغيب . ما
استهوته بالخبز ، ولا بملكات سواه ، ولا أوغرت صدره على
جيرانه فلم تغر بهيمته . بل قالت له : كلكم مواطنون متساوون
- رجالاً ونساء - حقاً في الكسب وواجباً في الانتاج . لم تحتقر
المادة ولم تؤلمه الروح ، لأن الحياة كما نفهمها وكما هي ، هي مادة
وهي روح (هذه هي المدرسية) .

لم تعد العقيدة بالحل الرخيص ولا الطريق المختصر ، ولم تقلده
رقية من نشوة مبهمه ، بل استهاجت القوى التي تؤمن انها كامنه
فيه فهبت فيه الرجولة الواعية ، الرجولة التي جاءت لتعطي

وتصارع ، لا الحقارة التي هرعت تحذوها الفريزة العمياء ، لتنهب
وتتمتع ، فحين اشرب الكبر في نفسه صار جورج عبد المسيح .
لا . لا . جورج عبد المسيح هو رجل عادي . آمن بشيء
يؤيده العلم ، فانتفضت عناصر نفسه ، وانتظمت ، بطولة فكر ،
وجرأة .

في يقيني ان في وسع أي واحد من مواطني هذه الأمة ان
يصبح كجورج عبد المسيح او افضل منه تلك الورقة التي
خط عليها الامين عبد المسيح اسم انطون سعادة . . . لن تبقى
بيضاء . ان السطر الاول ، والاسم الاول ، والقومي الاجتماعي
الاول لن يكون السطر الاخير ولا الاسم الاخير .

قطعة الحبل التي تقلبها جورج عبد المسيح ، خيوطها ابدًا
تتسكاث وتتفولد . ذلك الحبل الذي يلتف على معصمي من آمن
ان موته شرط لانتصار قضيته ، سينشل الفرقى كلهم من مهاوي
وادي ابو جميل الى مشارف ظهور الشوير .

حين تروكب العدالة

أطلق مجهول على الاستاذ يوسف
شربل رئيس مجلس الشورى ثلاث رصاصات .
وروت الصحف ان مطلق الرصاص
روكب (تعطل) مسدسه . وقيل يومئذ
ان مطلق النار فتي اسمه حسين الشيخ
من اعضاء الحزب القومي الاجتماعي .

الحضارة - ان شئت وصفها اختصاراً - وجدتتها صراعاً مع الشر .

ما اطمأن الانسان الأول الى مايجاه في كهفه الا بعد ان
سيحق أفاعي الكهف وطرده منه الحفافيش ونور فيه العتمة .
وما أمّن الانسان الى حراثة الارض الا بعد ان بطش
بكواسر ها ، وأبعد عن مساكنه وحوشها . والحضارة - وقد
شئنا وصفها اختصاراً بانها صراع مع الشر - لا تقاس الا بمقدار
ظفرها في هذا القتال . فالطب ينجح حين يفني مكروب المرض ،
والمعلم ينجح حين يطرد الجهل بالعلم من نفس تلميذه ، والطائرة
تنجح حين تبطش بالمسافة .

ولقد ابتكر الانسان ، في سياق صراعه مع شر الفوضى ، نظام الحكومة وضبطها بالقوانين .

وجاء القانون ، ككل ما اخترعه الانسان ، اداة طيبة تصلح للخير او تستخدم لمكسه . فليس من جريمة في الدنيا افطع من جريمة يفترفها من يفتال باسم القانون ، ويسجن الارباء باسم العدالة .

ويا طالما صاح خطباء بلادنا ، واصطفت مقالات كتابنا تنادي ان ازمة الحكم في بلادنا هي ازمة تنفيذ القوانين ، او اساءة تنفيذها ، او الاعراض عن تنفيذها ، او تنفيذها معكوسة .

والحضارة - وهي لا تزال موضوع حديثنا - نشأت في بلادنا وفيها ازدهرت . وحضارتنا ، وقد تكون القوة مقياسها ، تصابت أو هربت على مقدار ما تغلبنا على الشر او تغلب الشر علينا .

وتاريخ بلادنا الحديث حفل بالبطولات وبالمصلحين وبالمبشرين الذين حاولوا القضاء على الشر وبالتالي دفع هذه الامة في سيرها الحضاري . ولكن هؤلاء المصلحين والمبشرين والابطال ما تناولوا من مناحي الحياة الا بعضها ، وما توجهوا الى الشعب بكامله ، وما استشاروا متسلحين بالواقع وبالعلم . فهدرت بطولات الحركات في تموجات ضعيفة على سطح المجتمع . وجاء انطون سعاده .

ان من يحيا حر كته يجد كته - وكلمها عظيم - في ما تنص وفي ما توحى ثروة من مناقبية ثقافة لا تحصر في دفتي كتبها العديدة . وتجد انها في جوهرها تعبير شامل عن حياة وعن مجتمع فهي

حين تقاوجت واشرابت انطلقت لتملأ كل فراغ ، ولتفصل كل
درن ، ولتغرق فيها كل بارجة يرفرف عليها علم مستعمر .

لذلك حكموا بالاعدام على انطون سعادة منذ ان رفع علم
الزوبعة في وجه المستعمر الاجنبي ، والمستعمر الداخلي .

هذه الحركة القومية الاجتماعية - انطون سعادة - ماذا تريد ؟
جريمتها الاولى انها قالت لمواطني هذه الامة لا تصدقوا
الغربان انكم زرازيرو ، فانتم انتم الشواهي .

ومن جرائمها ان جعلت المواطن مسؤولاً عن بلاده لا متفرجاً
ولا مستغلاً لها ، وأن صرعت الطائفة في نفوس معتنقيها ، وانها
استثارت فيهم البطولة والايثار بنفوسهم وبلادهم ، وانها ثقبت
بالونات التزعّمات وتهجأت اسماء الحائنين وسرّحت بلبلة التفكير في
من ينبغي وضوح التفكير .

كانت الحركة ، وستبقى ، حركة عنفوانية .

تحدّث الشر لتصرعه ، ان انطون سعادة ما ثار حتى يصبح نائباً
او وزيراً . انه استنهض وعي الامة وعبأه وجنده لظفر نهائي حاسم .
فما هادنت نهضته الشر ولا هادنها الشر فالمستعمرون الفرنسيون
سجنوا القوميين الاجتماعيين ونكّلوا بهم وخرّبوا بيوتهم . وعهد
بشاره الحوري قبل ان ينطوي - هل انطوي ؟ - قتل
واغتال وشرّد .

تحدّث فيما مضى الى الرئيس السابق الاستاذ بشاره الحوري
في اواسط حزيران عام 1951 فقلت : يا فخامة الرئيس ، اني منذ
ان انضمت الى الحزب القومي الاجتماعي بدأ اختلاطي معهم

وتفهمي لمبادئهم . ليس من الممكن يا فضامة الرئيس ان يلقي
البوليس او ان يشنق القضاة مبادئ صحيحة ، كل ما يريد
القوميون الاجتماعيون رخصة حزبية ليس من منطق ولا بلد
متحدن ان يجبرها عن جماعة . ويريدون اطلاق سراح هؤلاء
السيجناء والكل يعرف الحكاية محاکمتهم . ان هؤلاء القوميين -
وهم مواطنوك - بعد ان اعدم زعيم حركتهم ، والكثير من
رفقائهم ، وهدم بيوتهم وسد الاضطهاد باب الرزق في وجوههم ،
في مزاج مخيف . يا ويل المعتدي من مؤمن مضطهد . في رأي
ان انتظام القوميين في حزب مرخص له مسؤول هو اقل خطراً
على اعدائهم من ان يبقوا ثائرين ناقلين . لا يضبطهم مسؤول حزبي .
يشار كني بهذا الرأي كل عالم اجتماعي او قائد عسكري او
موجه انساني .

ان همّ البارزين اليوم في هذه الجماعة هو ان يكتبوا القصة
لا ان يستثيروها !.

ولقد قال بيار اده لاحدنا جبران حايك ، ان اباه المرحوم
اميل اده ، وما كان قط بالزعيم سعادته مغرماً ، قال : « ان اعدام
سعادته اغتيال » C'est un assassinat .

وذكرت جريدة « الهدف » في عدد 7 تموز 1949 ان الزعيم
سعادته قال للسيد فريد مشاب مدير الامن العام وهما صاعدان على
درج مركز الدرك السيار : « اني اعتبر قضيتي اغتيالاً سياسياً »

« Je considère mon cas comme une liquidation politique » .

واليوم يتعهدون عن اغتيال جديد. يقولون ان حسين الشيخ حاول اغتيال يوسف شربل . ويبلغون بأن حسين الشيخ قومي اجتماعي . ان صح هذا ، فما هو سبب اطلاق الرصاص ومن المسؤول عنه ؟ من روايات الجرائد ان حسين الشيخ لم يعرف يوسف شربل ولم يكن له معه اي علاقة . وليس حسين الشيخ بالمجرم المحترف ليعاود قتل احد من الناس لقاء رشوة .

ترى ما هو الحافز ؟

نحن نتكهن ، ونستنتج ، ونحكم العقل . نلجأ الى كل هذا لانه ليس لدينا معلومات قبل الحادثة او بعدها يصح الاستناد اليها . منذ ان نشأ الحزب القومي الاجتماعي صراعاً مع الشر المتمترس خلف القوى المسلحة ، والتعصب الطائفي ، والضعف الذي اشاعه الخوف والاستعمار والفساد في نفوس جمهور المواطنين ، جند الشر كل قواه في معركته مع الوعي والمثالية .

لقد لبست الحياة روبااً ووضعت المثالية في قفص الاتهام . الذين خدموا الاستعمار ، ونهبوا الشعب ، وجعلوا من الحدود مع اسرائيل بوابة كبرى يسلكها الخونة والجواسيس لا يريدون ان نأخذ رخصة لعمل حزبي هو في جوهره حركة ثقافة تفهم المواطن مسؤوليته وحقوقه .

والذين نهبوا وينهبون شوارعنا وعتموا ويعتمون بيوتنا ، يقولون ان مبادئنا تنشر الظلام .

والذين توسطوا للمجرمين فاستصدروا العفو عنهم ، يستبقون احرارنا في السجون وفي الابعاد

والذين صادروا « المحاضرات العشر » لسعاده وأحرقوها غير
مستندين الى قانون ، ولا دستور ، يتهموننا أننا جماعة خلقت
لحرق القوانين .

واساتذة التطبيق والصفقات وعمال الاجانب لا يريدوننا فئة
قوية ، لان في قوتنا نهاية لاعمال التجسس والانصياع للسفارات .
القوادون الذين يريدون بيروت « شانهاي » الشرق او « طنجة »
المغرب لا يريدون ان توجه الشعب الى جعل بيروت عاصمة ثقافة
للبلاد السورية كلها .

ان في القوميين الاجتماعيين جراحاً لا تزال تنبض آلامها
ورائحة دماء لا يزالون يذشقونها .

أمن اجل هذا اطلق حسين الشيخ وصاياته ان صح
انه المطلق ؟

تراه شَعَرَ الارض تهتز حين ضرب محمد ملاعب رأسه بالارض
بعد معركة سرحمول ؟

تراه تحدث الى جورج حداد وتحبس طعنة حربسة الدركي
في رثته ؟

تراه استمع الى أم سيمون بهنا تروي كيف عاد سيمون الى
البيت وكلساته تنضح بالدم المتدفق من تحت اظافر رجليه ؟

أتراه رأى امرأة الياس متى وام فؤاد متى تسير كل سبت
بالزوادة الى حبس القلعة والله اعلم كيف تجمعت الزوادة ؟

أتراه ذكر الوف القوميين الذين تشردوا ، والالوف الذين
سجنوا ، والمئات الذين فصلوا عن موارد رزقهم ، والمئات الذين

احتلت بيوتهم، وفقدوا اموالهم، كل ذلك لانهم مثاليون انتدبوا نفوسهم « لتحقيق امر خطير يساوي وجودهم؟ »

اتراه وعى ان الاضطهاد والتهم والملاحقة عايشت الحزب منذ نشأته وان هذا الاضطهاد بلغ ذروته قبل ثورة 1949 ثم بعدها؟ ام تراه - ترى حسين الشيخ - تطلع فيما حوله فوجد ان موكب الفساد لم يتغير فيه الا بعض الوجوه، وان الشياطين يقرأون علينا من كتاب الواعظين، وان الذين شمت قصورهم، وعلا أمرهم، وضحخت اموالهم وزخرت مواردهم - جاءتهم النعم على حساب البلاد، والمواطن .

تراه فقه ان المثالية صارت جريمة، وان الخيانة أصبحت فضيلة؟ من يدري؟ لعل حسين الشيخ نفسه لا يدري . لعله قرأ ان خمسين الف ليرة دفعت او ستدفع للاستاذ محسن سليم فأعيلاه الحساب، حساب كم يجب ان يدفع تعويضاً للحزب القومي الاجتماعي؟ لعله تحدث الى احد معارفه او اقاربه العائدين من الغرب فتحقق ان الدول لا تبني الا على مبادئ القومية الاجتماعية .

لعله ذكر الاغتيالات فاراد ان يسجل احتجاجاً عليه، ويقطع الطريق على اغتيالات جديدة، ويفسح مجال التكفير للذين يريدون ان يكفروا !

لعله اراد ان يوقظ سواه ولم توقظهم القنبلة التي شحنت اليها من اسرائيل؟

من يدري؟ نحن لا ندري!!
ولعل حسين الشيخ نفسه - ان صح انه مطلق النار - لا يدري!

لعل العهد الجديد يدري ويقدر ان يوضح لنا ، لنفسه ،
للأمة كلها .

لا يطيب الغناء في الخراب الا لليوم .
والدم الذي سال على رصيف شارع يؤلمنا منظره لأنه بعض
دمنا ، دم هذه الأمة .

لقد رو كبت العدالة فيما مضى . وعلى هذا العهد ان يساهم في
صراع الشر وان يزيل آثام الماضي لا ان يرسخها .
وكل ما نبغي حياة انتاج واشعاع وحق .
حياة لا تعزل احرار الأمة في السجون ، ولا تحرق كتب
فيلسوف ، ولا تمنع اجازة عمل تجود بها حتى على « شهود يهوه » .
من مهماتنا ان نفصل الاحقاد ، وان نحول دون تفكير يستفز
حسين الشيخ او سواه . وكلما اردنا التعاون مع العهد الجديد
- ونحن لا نزال نحسبه عهدنا - وجدنا ان العدالة رو كبت من
جديد .

هنا مذهبي

هل لي مذهب ؟ ما هو المذهب ؟ أمن الضرورة ان يكون
للرجل مذهب ؟ وأهم من كل هذا أصادق انا بالجواب ؟ أهى
الحقيقة عارية اظهرها للناس ، أم أنا أصبح بها : هيا البسي ثوبك
انيقاً وتبرجي واخرجي ففي الصالون زائرون يبعثون التعرف اليك ؟
ان اهل القلم اكبر مزوري الدنيا . واني ما دونت سطرأ ،
وما حاضرت في جمع ، وما خطبت في حفلة إلا واشترأبت في
نفسي موجة عارمة حارقة يطلقها الضمير فأحاسب نفسي أصادق أنا
فيما اقول وفيما اكتب ؟

فالقانون يعاقب الطبيب ، والصيادي ، وسائق السيارة ، ان
أخطأ أو تعمد الجريمة ، اما مطلق الآراء - كتابة او خطابة -
فله ان يكذب ويضلل وليس من يحاسبه . بل ان جمهور الناس
قد نسجوا حول الأديب هالة تروعهم فهم يقبلون على القراءة
مأخوذين بسحر الكلمة المطبوعة ، ويصفون بخشوع لأي متكلم
ترسخت شهرته .

اذن فكان الاصح ان يحور هذا السؤال فيمسي : « ما يجب

ان يكون مذهبك ؟ » . فقليلون يجيئون مذهباً . انه ثوب نتزين به في الاعياد والحفلات وايام العطلة . وانت اتفق ان لقيت من يؤمن ان اجمل ما في الفن هو الصدق ، وأرخم ما في الحياة هي الحقيقة فقلما يكون هذا الذي تلتقيه من الفنانين او من القادرين على الافصاح عن الحقيقة كتابة او خطابة .

اما انا فقد اعتنقت في حياتي مذاهب ثلاثة : فلقد كنت حتى السادسة عشرة أدين بقرويتي الضيقة . فأنا ابن الضيقة في لبنان . أو من بعائلي ، بتفوقها ، بأحقادها وصراعاها مع جيراننا من أجل سؤدها . وهذه العائلية القروية ارتدت الطائفية وامتشتت سيفاً وأتمرت خردة . فأنا درزي ، والدروز اشجع اهل الارض ، وانبلهم . وكل من عداهم لا بأس ان يعيش على وجه الارض ، ولكنه يجب ان يكون خانعاً ذليلاً مطيعاً للدروز ، بل لعاصمة الدروز ، بلدة اسمها « بعقلين » . هناك حيث تنبوا عرش الآلهة - عائلة تقى الدين - يربط بينهم ذلك الجبار العبقري سعيد مصوباً الى الدنيا طربوشه الاحمر فوق حاجب ، قوسه أفق العالم .

وراحت الحياة تفكك عقداً في النفس وتصوغ سواها . فأنا متحرر من قرويتي ، وعنصريتي ، كافر بها ولكفي بدأت أعبد - صدقت فمن سواه أعبد ذلك الجبار العبقري سعيد ؟ صليت له ومجده طوال ثلاثين سنة . كانت لتعظيمه مؤلفاتي ، وفي سبيل عزه الاموال التي جنيت ، ولاذاعة صيته الاحسان الذي بذلت ، ولتخليد اسمه النادي الفخم - نادي متخرجي الجامعة الامريكية - الذي بنيت . كان مغرمًا بنفسه حين عشق الفتاة التي تزوج ، وبعد

ان صارت ابنتها صبية كانت الجماهير تصفق لظفره حين تصفق لموسيقى تعزفها ابنته على « البيانو » .

واستفقت . لا ، ان الافاقة لاتكون عفوية ولا فجائية . تبدأ اولاً بشهور وعي يرافقه خدر يتلاشى ببطء مؤلم لذيذ . كنت في بلادتي حين انفتحت عيناى ، في مغتربي ، في الشرق الاقصى ، « الفلبين » ، كنت اصيح بالناس اخبرهم من انا ، ومن هي امني . حين استفقت في بلادتي لم اسأل نفسي من انا ، وكدت اسمرهما هناك بين قدمي . ولكن يداً امتدت الى ذراعي وشدت عليها . واذا هنالك كتاب ضخيم كبير بعضه كلمات مطبوعة ، وبعضه دماء وبعضه صفحات لا يحل رموزها الا ذلك الذي يستثيره الايمان . وبين وريقات ذلك السفر صفحات بيضاء تدعوك ان تملأها انت ، لأن هذا الكتاب الكبير الضخم - سفر مذهبي - يبشر ان فينا قوة لو فعلت لغيرت وجه التاريخ . فافعل واملا ما تريد من الصفحات على قدر عزمك ومواهبك .

كاذب من يقول لك انه اعتنق مذهباً ، لسبب واحد من الاسباب . اكثونا يرث المذهب الذي يعتنق . مذهبي ما جاءني وراثته . وكاذب انا ان قلت انه يمثل ، مئة بالمئة ، كل ما اصبو اليه . ولكنه - هذا المذهب - يجيب السؤال الكبير الذي تمتعته حين استيقظ وعيي « من نحن ؟ » لا « من انا ؟ » وما يجب ان نكون . ونخطط الطريق الى الوصول الى ما يبتعد عنا كلما سرنا اليه ، لاننا كلما علونا امتد افقنا وابتعد . ذلك القوس تحت الطربوش الاحمر ، هو ابدأ في اتساع وابتعاد .

وهذا المخطط لا يرسم لك الطريق فيحسب . انه لا يعطيك
الخارطة ، بل هو يقول لك ان الخارطة والطريق وعزمك على
السير والسير عليها هي كلها عملية موحدة لا تنجزاً . فما انت
بصاحب مذهب ان لم تسر ، وتختط ، وتحمل خارطة وتسير على
الدرب ، الدرب الوعرة التي لا يقصرها الا سرعة سيرك
مذهبي هو اذن قوميتي اعمل لها في جهاز اسمه حزب
لمّ الحزب ؟ الحزب هو الايمان . فايكن ايمانك في نفسك ،
واعمل له منفرداً مستقلاً . لمّ الحزب ؟ لمّ النظام بقولبك ويشل
نشاطك ، ويفرض عليك قيوداً . ليست من صنعك ؟
لمّ الحزب ؟

لمّ الجيش الدولة ؟ لمّ الملاحون للمركب والطائرة ؟ كل مذهب
ليس له جهاز تنفيذ ما هو بمذهب ، انه رأي لا قيمة له . فديتبادر
الى الذهن ان الفرد يصح ان يكون جهاز المذهب . قد يصح هذا
على بعض المذاهب . الوجودية تقدر ان تمارسها وحدك . الرمزية
في الشعر يكتبها قلم واحد تحركه يد واحدة . اما القومية ، وهي
تهدف الى تقوية مجتمع ، فلن يكون الفرد فيها فعالاً كل الفاعلية
إلا اذا انصهر في جهاز يفولده . النظام يبقي القوة - بعض هذه
القوة هي الحرية - بتنفيذ الواجب .

ولفظه « انصهر » هنا ما هي بخمسة احرف . انها التخلي عن
الكثير ، واحتمال الكثير ، والتعود على اشياء غير مألوفة قد
تكرهها ، والتسلط على الكثير ، ومحق الكثير ، مصاعب فكرية ،
وجسدية ، ومناقبية ، تآخمها وكأما غلبت واحدة منها استشعرت

بالقوة فلا تتحقق ان هذا المذهب قد فعل في نفسك الا بقدر ما هو
يعبأ فيها من قوى فتأنيك - او تترسخ فيك - الشجاعة الجسدية
والادبية ، وتستقيم مقاييسك حتى لتمشي حافياً وتحس انك منتعل
جزمة عسكرية ، وينتهي بك الامر الى الاكتشاف ان هذا
المذهب الذي صهرك فرداً في فريق مقاتل ، وسحق انانيتك من
اجل خير مجتمع وامة وشعب ووطن ، قد عززك فرداً ، فتشع
تلك النون القابعة بين سروتي الألف فإذا أنت حين تسمع سؤال
« من نحن ؟ » لا تغض الطرف لأن « أنا » هي جزء من
« نحن » . واذا أنت انسان اقرب الى الله ، واحب الى الجيران
والمواطنين ، واذا أنت انسان ارفع ، لأنك مواطن افضل .

يقول علماء الذرة ان ذرات جسد الانسان تتغير ، او يتغير
منها 98 بالمئة كل سنة . فهل يتغير الانسان مرة كل سنة ؟
مذهبي فتى يبقى دائماً في ريعان الشباب ، انه ربيع الحياة
الدائم لانه حركة حياة . انها حركة توحى بأكثر مما هي تنص .
ان ذراتها تستبدل ليتجدد جسدها ويفعل عقلها

مذهبي هو الحركة السورية القومية الاجتماعية التي تعلي شأن
الفرد حين تجنده نفراً في جيش ، وتسير بنا نحو الحلم الكبير
لتحقيق الانسانية الشاملة حين تعد احدى وحدات هذه الانسانية
- أمتنا - فتجعل منها مجتمع حرية وقوة وواجب ونظام .

نحن نخاف الشاربنج يا سمو الامير

يوم جاء جلالة الملك سعود - وكان
اذ ذاك لا يزال ولي العهد - الى بيروت
تفجرت أنهار المديح وطوفانات التملق
التقليدية .

فكان المقال التالي والرسالة التي تليه:

منذ أيام والعمال يرفعون اقواس النصر لاستقبالك ، والخدم
يعبدون القصر لا قامتك . ومتسولون ، بعضهم في مرتفعات
السلطان ، وبعضهم في شرفات الفصاحة ، يعملون الفكر في سبيل
تصيد لفظة من سموك - لفظة تتوجهم الى درهم من مال او درهم من جاه .
لأنهم لا يمثلون أمتنا ، هؤلاء المتهافتون . ولئن انبرى احد
ابناء هذه الأمة لمخاطبتك فالأنك ما انت بالغريب البعيد عنا .
إنك من حراء اللغة التي تكتب بالقلم « فاقراً وربك الاكرم ،
الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .
أنت من أمة كانت لها عزتها ، وما هانت سيادتها يوم قالت
الدنيا في رسولها :

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه ، فأراها أيما شمم

وأنت يا سعود ، مواطن دولة عربية هي إحدى دول العالم العربي الذي نشيد ، والذي من أجله شئنا جبهة عربية نتجند في متاريسها .

وإن شرد من هذه الرسالة قول ما هو من مألوف من عبارات الترحيب ، فمذرنا اننا من أبناء الحياة الذين جعلوا اقصر المسافات تلك التي لا تفصل قلوبهم عن شفاههم ، وإن هذا الكلام الذي يصاغ من أجلك ، يخط واطياف الشهداء ماثلة توحى ، وصرخات المتشردين تدوي ، وعبوات أحرارنا من الاسرى والمبتعدين تخلق بكم وبنا ، وأعداء لأمتكم وأمتنا - مغتصبو ارضنا - رابضون بينكم وبيننا - أعداء كواسر جاءت موائدكم وشبهت معاقلمهم فهم متحفزون للوثوب عليكم وعلينا .

كل هؤلاء ، وكل هذا ، يجعل من واجبكم الاصغاء كما يجعل من واجبنا ارسال النداء .

نحن لا نذكر الكارثة لنستدر دمة . نحن لا نؤمن بالتحسر ، ولا بالعتاب . « وذكر إن نفعت الذكرى » . فنحن نذكر لننتفع لا لنتحرق . نذكر ان العدو ما كان سيفه عند أعناقكم وأعناقنا ، لو لم ينهزم أكثرنا يوم جبن البعض عن بطولة الفعال ، وخرس آخرون عن بطولة المقال . وها هي الحياة ، وما بخلت عليكم ، تسخو من جديد إذ تفسح امامنا مرة ثانية - وقد تكون الأخيرة - فرصة البطولات .

لقد تركت يا ولي العهد الدولة ، دولة تشيعك فيها أقواس النصر ، ونزلت دولة تستقبلك فيها أقواس النصر . على من انتصرنا ؟ على ماذا انتصرنا ؟ هل جلالة أبيك كيف يكون النصر ينبئك انه

إيمان تسليح . وان اعداءكم واعداءنا ، يا طویل العمر ، آمنوا
وتسلحوا . فكثرت مصفحاتهم وقلت سياراتهم . لقد انتصروا
حين آمنوا بذلك النوع من العطاء الذي لا يشجع الاستمطاء ،
فألبوا الجند لا المتسولين ، واصفوا الى الصادقين لا المتملقين ،
وفهموا السيادة قوة حق فاعلة قادرة ، لا أغنية تبدأ بطرب
وتنتهي بنواح .

نرحب بك ، يا سمر الأمير ، لا كضيف جاءنا في زيارة
ملوكية . بل كمواطن كبير الشأن في دنيا عربية ، فجرت ينابيع
قوة عالمية ، وطاقة بشرية ، تسنم عرشها ابوك حين آمن وتسليح
فانتصر - دنيا ما غلبت يوماً على امرها كما غلبت يوم كفرنا نحن
بالحق فلم زعده ، وآمن اليهود بالباطل فتسلحوا له .

هي ايام قليلة ستقضيها في بيروت ودمشق ، يا سعود . نحن
نخاف التاريخ - ذلك الشيخ القاسي الذي لا يستعرض الحقائق
إلا عارية . ليكن لك في كل لحظة عمل . كل ما تفعله في سبيل
لبنان هو في سبيل السمودية . وغداً ستستعرض في الشام قوى
مسلحة ، هي تصون الرياض ، حين تدافع عن دمشق فإن الذين
استباحوا القدس الشريف يشوقهم ان يستباحوا مكة المكرمة .
إن العلم والحق والحقيقة خطباؤنا وشعراؤنا حين نصارحك
أن ما تبدله لمصلحة أمتنا هو في مصلحة أمتك ، فأخطاركم
أخطارنا ، وقد يكون في مكاننا من الخارطة ما يجعلنا أفعال في
تلقي الضربة ، وارسالها ، عن العالم العربي ، ومن العالم العربي .
معذرة يا ضيفنا الكبير ، فالتاريخ يحمل ساعة لا يسمع دقائقها
المسرعة ، إلا من أرهف التاريخ سمعه .

السيد فهد المارك

مندوب مقاطعة اسرائيل

في السفارة السعودية - بيروت

سيدي

لسبب يتضح بعد مطور ستدرك ، يا سيدي ، لماذا ابطأت
بالجواب على رسالتك تاريخ 6 ايار .
غير اني اود ان اشكرك شكراً حاراً لا يمليه أدب المراسلة
فحسب على توجهك إليّ بكتابك المذكور .

وانني واثق انك لا تبغي تصييد المديح ولا شراءه . فمن
الواضح ان هذه القصة التي أحيا في ذروتها ويحيا فيها رفقاؤني ، حرّم
فيها القنص على مدار السنة ، وما كانت فيها الكلمة ، ولن تكون
سلعة برسم البيع ، بل ان الكلمة كانت فيها ، وستبقى ، افصاحاً
عن فكر وعاطفة كثيراً ما يتزين بها نبيل فقير ، ويعرى عن
ارتداء ثري امير .

لذلك ابتهج بسؤالك عن الأثر الذي تركته زيارة سمو الامير
سعود ، موقناً ان غايتك التعرف الطاهر الى المنافع التي جناها

العالم العربي لقاء ما بذل سموه وبذلناه من وقت ومن مال .
واخالك على معرفة تامة ان الفريق الذي يشرفني ان اكون
في معسكره يؤمن بالعروبة الصحيحة ويهيمه ان تأتي زيارة امير
عربي توظيفاً نافعاً لجهد ومال لا هدرًا لها ولا دعسة مغلوطة على
محرك سيارة العروبة يقذف بها الى الوراء بدلاً من دفعها الى
الامام

كذلك لا أجد تصادمًا بين نشاطك في المفوضية كمندوب
لمقاطعة اسرائيل وبين اهتمامك بنشر كتاب عن الانطباعات الخاصة
التي تركتها زيارة سمو الامير . فنحن الذين نؤمن بدرجة الحياة
نفهم مظاهرها التي تبدو للجاهل أو الساذج ، متضاربة

ننطلق ، ياسيدي ، من قاعدة رئيسية واحدة هي اننا نحن
هنا وانتم في المملكة العربية السعودية ، نعيش في لذات الاعزل
المترف ، وفي ظلال حراب جائع مسلح اغتصب بعض دارنا ،
ويتحفز لاغتصاب دارنا وداركم وهو في رأي الكثيرين قادر على
الظفر ساعة يريد .

اذاً فسؤالك يجب ان يصاغ في كلمات ثانية قد تصبح قراءتها
هكذا :

« ما الذي فعلته هذه الزيارة في سبيل اقضاء ظلال حراب
العدو الذي يهددكم ويهددنا؟ » . والجواب يتناثر في اجوبة كثيرة .
فانه من الجميل ان يكون سمو الامير قد تعرف إلينا والى بلادنا
ونحن قد تعرفنا اليه . وانه من المسرّ ان يكون سموه قد تحدث
الى بجلالة ابيه في الليلة الثانية من اقامته بيننا ، فسمعناه على الرايو

الخاص به تزداد صوته قائلاً : « ان لبنات زحف للملاقاة حورياً
ورجاً جيل . »

كانت في صوته غنة بدوية تستعجب ، وحمية عاطفة ، سرنا ان
أوحيناها . ومن المعروف ، يا سيدي ، ان سموه وهب الكثير
من الاموال . بعضها كانت دعوات مغلوطة ، وبعضها كانت
خطوات في السبيل السوي .

ولو ان سفارتكم تنشر ما ظهر في ذلك الكتاب حيث وقع عليه
القبضون ايضاً لانهم فعرفنا كل الاسماء وكل المبالغ لا تقينا خطر حكم
يبنى على معلومات ناقصة لا يعزها إلا الحسد والتخمين . ولكن
مبدأ الهبة هو مبدأ مغلوطة ، وقد ينتهي العالم النفسي الذي يتعري
الحوافز الى تصنيف الكريم والشحيح في مقعد واحد هو الاثر
فتنقبض كف البخيل مدافعة عن انانية ، وتبسط كف الكريم
ناشرة انانيته . لذلك نراهم نظموا الاحسان في الغرب ومن اجل
هذا علقت الكاتبة الاميركية (دروثي طمس) بشيء من الهزء
على ما رآته في « جده » من كرم بقولها :
« والعطاء عند هؤلاء الناس يعد فضيلة » .

هذا تعليق امرأة فاضلة عرفت بصداقتها لنا وعرفت انها
تنتمي الى اكرم شعب عرفه التاريخ . وهي بقولها هذا تعني ان
الهبات للأشخاص هي عادة شرقية تشبه الرذيلة وقد تهدم خلق
الواهب والموهوب ، وانه في العصر الذي يجب فيه علينا ان نبني
دولة ونكشف عن قوى أمة يجب ان يأتي البذل لهذه الدولة ،
وفي سبيل هذه الامة لا بنحشيشاً يرمى في كف متسول . وكانت

هذه الزيارة اكثر نفعا ، لو ان ما بذله سمو الامير جاء قرضا لدولة او اعانات لمؤسسات عامة ، وليكان اجدي لنا ولكم ان يبذل هذا المال لا للمداحين والمستجدين ، بل ثمناً لقاذفة او لبعثة عسكرية او لتشييد مستشفى خيري .

اما اذا تعدينا المال والهبات فاني لأذكر ان في بيروت اليوم سياسيين ثلاثة ، كنت اتصل باثنين منهم تلغرافياً وتلفونياً في كل ليلة من مانيلا (الفلبين) حيث كنت مقيماً ، وكان هؤلاء الثلاثة في نيويورك أعضاء لوفدين من وفود الدول العربية ، واني اذكر بحرقه وبألم ما سمعته من احدهم ذات ليلة على التلفون وفي باب معركة التصويت على تقسيم فلسطين ان الكارثة تحجبها كلمة تصدر عن المملكة العربية السعودية ، تلك الكلمة التي لم تنطق بها مملكتكم ياسيدي سنة 1947 . وانه ليؤلمني ان اقرأ اليوم عدد 20 مايو من جريدة (الهرلد تريبيون) انباء مقابلة فوستر دالز مع سمو الامير فيصل وزير خارجيتكم فأجد انها تحدثا في الرياض عن العلاقة الودية التي تربط مملكتكم بأمركا فأستمع وزير خارجيتكم الى دالز يقول :

« انه سيسعى الى تحسين العلاقة الاميركية والدول العربية ، وانها بحثا ببعثات اميركية تأتي الى السعودية وانها تحدثا عن مشكلة البريمي مع بريطانيا وانها جاء على ذكر آبار الزيت وآبار الماء . »

يؤلمني ياسيدي ان لا تنطق السعودية اليوم بالكلمة التي كان يجب عليها ان تنطق بها عام 1947 . وانه من الظلم ان نتعجن على

المسؤولين في المملكة السعودية فنقول ان الذنب ذنبهم وحدهم .
الذنب ذنبك يا سيدي وذنبى انا وجزيمتك وجريمتي وجريمة هؤلاء
المتهاظمين المحيطين بالمسؤولين في بلادك تستشيرهم نفسية الفراشين
والحجاب والخصيان و (الكورتزان) فلا يسهفون الأمراء
وسواهم على تفهم الامور ، وهؤلاء لم تتوسع فيهم بعد عقلية
الدولة وما تحرروا من فضائل البداوة التي ما عرفت الدولة ،
وعرفت القبيلة .

هل اغتبننا من وجود سمو الأمير بيننا فرصة لا يوضح
المسؤولية الكبرى ولا استشارته لتجنيد قواه الهائلة من مالية
واستراتيجية ؟ ام اننا اقتصرنا في حفلاتنا وضيافتنا على التملق
والترفيه ؟ قد يكون من الظلم ان نصدر حكماً باكراً ، ومن
العدل والروية ان ننتظر الأسابيع المقبلة لنثبت من ان هذه
الزيارة عوضت عن موقف السعودية عام 1947 او انها ايقظت
خبرها .

اما من الناحية الاقتصادية فمن الواضح ان اتفاق مليون ونصف
ليرة او مليونين ليرة وهو المبلغ الذي انفقته سموه هنا لا تضر
بلبنان ، ولكنه كان انفع للبنان ان يصدر تشريع في جده يبيح
اسواقها للافاكة اللبنانية ويمنع عن السعودية الفاكة الإيطالية التي
تسكاد تحتكر اسواقكم .

اما في ما يتعلق بشركات النفط وعلاقاتكم معها معروفة ، فهل
اغتنم احدهم او اغتنم سموه هذه الزيارة ليتفهم ان الذين سرقوا
حكومتهم لا يأنفون من سرقة حكومتكم وان الذين تحاكمهم

محاكم العدل في بلادهم يستحقون ان تحاكمهم محاكم العدل في بلادكم . وهل تقصى في بيروت خلال هذه الزيارة لماذا عقد مجلس الأمن الأميريكي جلسيتين في عهد ترومن وفي عهد ايذنهور وتقدم الى النيابة العامة في واشنطن سائلا ان تمنع التحقيق الجنائي عن شركات النفط صونا لاسماء اميركية وغير اميركية تشتغل في دوائر الاستخبارات ؟ وهل تساءل سموه ، وهو يهز الأيدي ويتقبل الترحاب في بيروت من مواطنين لنا وغير مواطنين ، ومن يسمعون بثقة سموه وينعمون بعطفه وعطف أسرته عن الحلف الشرير الذي يؤلف بين افراد هذه المصابة ؟ وهل تقصى سموه وتقصيتم - بحكم مهمتكم كمندوب لمقاطعة اسرائيل - وبيروت قاعدة الجاسوسية والتخريب لاسرائيل - في اي وخم ازدهرت بواسق بعض الأشجار في هذه الغابة وفي اعماق اي ظلمة غابت هذه الجذور ، ومن يدفع ومن يقبض ليرش على هذه القاذورات أغلى العطور ؟!

هل اخترقت الاصوات الصادقة هذا الكوردون الذي سور سموه فسمع ان ليس له في دمشق وبغداد وعمان الا كل صديق وكل حليف ، ام ان مسمعه لم يصغ الا الى تجار الوشاية ومستغلي التفرفة ؟

اية انطباعات أحدثته زيارة صاحب السمو ؟ استمع الى الجواب من تل ابيب تعلنه اذاعتها - انهم اقاموا معرضاً للأسلحة بعضها الرشاش الذي اطلقوا عليه اسم « هوزي » . وانت يا سيدي تريد ان تصدر كتاباً مأؤه مديح وثناء اكثره مشتري بال .

هلا قرأت اسرار سقوط فرنسا المفاجي في الحرب الاخيرة وهي

الدولة التي لمبت ادواراً رئيسية في تاريخ الدنيا ؟ رجوتك ان
تطالعهما لتتعرف الى من سبب سقوطها . حتى لو اطرحنا المثالية
جانباً لوجدنا في الخطر الذي ينقض عليك وعلي وعلى سموه ما
يجعل هذه الصراحة واجباً بسيطاً ، ويسم التمويه بطابع الخيانة .
لك ودي ، ولك رجائي ان تجعل من نفسك في وظيفتك
وحياتك ونشاطك جندياً يطيب له الحرمان وتطيب التضحية .
نحن اقرب الى النار مما تظن . انهم يربون في « تل ابيب »
البزاة والصقور والعقبان ، ونحن هنا نتلف اعشاشها
رجوتكم يا سيدي ان لا تصدر هذا الكتاب

رقة جناح

خفق الاجنحة

كنت قبل انضمامي للحركة القومية
الاجتماعية انشر عبارات قصيرة تحت عنوان
« رقة جناح » وصرت انشر مقالات تحت
عنوان « خفق الاجنحة » هذا بعضها :

مالك والملاحزاب !

مالك والملاحزاب ؟

نصيحة في سؤال يلقيه عليك حكماء هذا البلد الذين يتطوعون لوصف كل الادوية ويعرفون كل داء .

وهؤلاء هم المثقفون الواعظون الناضجون بالمعرفة ، المصرون (١) بان مجتمعنا لن يستقيم الا بالحزبية المنظمة .

اما كيف يوفقون بين التبشير بالحزبية والنهي عن الاشتغال بها ، فامر يدق عن افهام الناس ، الا الذين يدركون ان فلسفة بعض القادة ، في هذا البلد ، مخنثة ، تريد ان تربع الممارك من غير ان تخوضها . ويفهمون النهضة رواجاً وسياسة ومساومة وشانتاجاً ، ويجهلون انها تربية شعبية تنطلق عملاً وتصارع .

لا يليق بان يعتنق عقيدتنا القومية الاجتماعية من يؤثر البقاء في ملجأ - من مركز سياسي أو مالي .

ولن ينال شرف مرافقتنا من هم اكتساب الحصانة في الحياة .
ويسألونك لماذا لا تتروى ؟

(١) صرعز - أسرف بالكلام . من صرح عزام ، امين الجامعة العربية .

الشلل ، هو نشاط يتروى .
الانحطاط ، هو تقدم يتروى .
بقيت تركيا مؤات السنين تتروى ، وتحتضر : ثم افاقت
ووثبت .
ونحن في زمن وجب ان يصبح الاسراع فيه بعض عناصر
الروية .

زحزح الصخر

كنت اشعر بزهو حين يرن التلفون فاسمع صوتاً يداعبني بل يستعطفني سائلاً مقالاً - أي مقال ؟ .

كنت ارتجف خوفاً حين اسمع أزيز الطائرة ، فاذا ذكر شهور الغارات الجوية في المهبجر .

كنت لا استطيع الكتابة إلا في الصباح بعد ان تمتلىء عروقي بالقهوة وينتشي سمعي بالموسيقى .

كنت اهلع حين اسمع انتقاداً او اشاعة مؤذية

كنت اسكر بالمديح

كنت ألتذ بتصدر مجلس ، ورئاسة جمعية ، وإدارة مكتب ، وبإصدار أمر ، وبلاستمتاع بمظاهر الطاعة .

واليوم يرفض رفة أجنحتنا من كان بالامس يتحرق للنشر جناحي ، فأزهو .

وفي وسعي ان اركب الطائرة التي كنت اخافها ، فادور حول الدنيا ولا آبه .

وينطلق قلبي على الورق في الليل والنهار من غير قهوة ولا

موسيقى .

ولا يهمني الهزء ولا النقد ، ولا التجريح ، ويطيب لي ان
اصفي وأتمر ، فأشعر بالقوة وبالجرأة في الروح وفي الجسد .
نشوة لا يتحسسها ، ويهزأ بها القابع في كهف الرخاء ، والحذر
والخبرة ، من يقنع نفسه بأن ليس خارج الكهف لا شمس ، ولا
هواء نقي ، ولا رفقاء .

زحزح الصخر عن باب كهفك ايها الخائف الحائر ، واطفر الى
الشمس ، فتكتشف انك كنت تعيش وحدك في العتمة ، واصبحت
تحيا مع ابناء النور - ابناء الحياة .

نقاط السطور

أود ان اذيع عليك سرّاً قد احاكم نفسي من اجله :
رأت « النهار - كل شيء - الاحد - صدى لبنان - الاجيال
- البيدر » وكبرى جرائد سوريا ، ان لا تنشر اي اطراء
يوجه الي .

هذا الخبر الصغير يحمل في طيه سر العقيدة القومية الاجتماعية
ومعدن قوتها - وهو انها ايمان بحياة معتنقوه اذ يعلنونه . فما دام
بعض مبادئنا ان يذوب الفرد في المجتمع ، فمن الضروري اذن ان
لا تنصرف جرائدنا الى تمجيد احد من كتابها . هكذا يمارس
ابناء العقيدة ما به يبشرون .

هل استمعت الى بائع يذرع لك القماش ، فيما هو يقسم ،
ويكذب ، وينافق ، ويغاظ الايمان ، وخلفه رقعة كتب عليها
« شعارنا الصدق » ؟ هذا شأن باعة المبادئ وتجار الوطنية . ان
قوة القومية الاجتماعية وما يميزها عن سواها هي انها بضاعة اصيلة ،
واني اصرحك فوراً بأن الذي استهواني هو ما قدرت هذه العقيدة
على تنفيذه في نفوس ابناءها . فلو ان الحياة كانت نجداً ، وكلاماً

وخطباً ، ونظريات ، وتصاميم ، لحار العاقل في اي طريق يمشي .
اكثر من تلقاه يفيض مواعظ ومبادئ . في الكثير من مناهج
الاحزاب ما يستفز التصفيق . الكريم والليث كلاهما يجهران
بجبهما للحق . مزية الكريم انه يضر ويحيا ما الذي به يجهر .
واني في هذه الرسائل متوجه الى غير القوميين الاجتماعيين .
انا احاول ان اجيب على السؤال البسيط الذي يفوه به المواطن
الصادق الحائر الذي اهل دراسة هذه العقيدة ، او الذي فاته ان
يلاحظ حيويته في ابناءها ، او الذي اختلطت عليه صحتها
من الانبياء الكاذبة ، والاشاعات وغوغاء الاحاديث من
عنف وثورة وعصيان ، ومن محاولة اعدائها تجريح صيتها وتهديم
قلاعها .

لقد كنت مثلك يا مواطني ، اجهل ماهي القومية الاجتماعية .
فلما باحثت القليلين من ابناءنا ، اكتشفت انها هي ايماني ومبادئ .
وستكتشف انت ايها المواطن ان هذه العقيدة هي ايمانك ومبادئك .
غير ان ارادتك اليوم مشلولة ، وكذلك جهودك مشتتة . الايمان
يشدها وينظمها وينضدها . في كفك الحبات ، وفي وسعك ان
تجعل من هذه الحبات نفسها قلادة - حين تنضم الى النادي . وان
انت لم تفعل ، فستبقى مساعيك مشوشة ، وعلى الاكثر ضائعة ،
ولن تقوى على اقناع نفسك بانك اديت واجبك نحو مجتمعك ،
بل تظل اعمالك المشكورة دفعات على الحساب صغيرة ، وتبقى
انت غير مسدد الحساب الكبير .

لقد مرت بي ايام - بعضها سنوات - كنت اعجز فيها

عن شراء ثوب لجسدي ، او كرسي لبيتي ، ولكنه لم يمر
بي يوم عجزت فيه عن شراء صحيفة او مجلة او كتاب .
منذ 32 سنة اقرأ الكلمة المطبوعة في امهات الصحف
والمجلات وفي كتاب او كتابين كل شهر . ولقد خلصت الى
الاعتقاد ان أشد انواع الغباوات ، هي غباوة الثقافة . فان كنت
يا مواطني تريد ان تتفهم عقيدتنا عن طريق عينيك واذنيك وعقلك
ما اخترن به من منطق ومعلومات وقوة ملاحظة مرهفة منعمة
من الخضوع لقطعية التفكير ، فأنت وانا رفيقان منذ هذه
اللمحة . واما ان آثرت ان تأتي بالشواهد من بهروز بهرام المولود
في بومباي ، او المؤرخ قرقحوش المستكي المتوفي في القرن
التاسع ، فيؤسفني ان نفرق الآن وهنا . فاننا نحن رفقاء العقيدة
نحيا هذا اليوم ونستعد للحياة في الغد ، ولا نفهم من الماضي الا
ما نستطيع ان نشده قوة الى حاضرننا ومستقبلنا

تعال إذن ، واذكر اننا في سنة 1000 و 900 و 2 و 50
وانك تريد ان تتجند لخدمة اممة . لذلك تعوزك الشجاعة .
واول خطواتك الجريئة هي ان تحاول تفهمنا وتفهم تعاليمنا
بتجرد تام .

واننا لنصارح الذين يهجون هذه القفزة اليها ، اننا لا نفتتح
الباب لزبائن سيدنا يدخلون القاعة ليجلسوا فيها على الكراسي
متفرجين . نحن جبهة صراع وتضحية ، وايام الجهاد امامنا . لن
نأمل من غدنا ان يكون أشد رفقا بنا من امسنا ، كلما اعترضت
سطورنا نقطة حمراء ، نعلم ان عبارة انتهت ، وعبارة بدأت .

اكتشاف ...!

من الناس من لا يتذوق الطعام الا وهو لا لبس الرذذكوت
وجالس الى مأذبة نبدأ بتقديم الشوربا وتذهي بجبن الر كفورت .
هؤلاء لا يفهمون الحروف الابدية الا اذا عرضتها عليهم بالتوتيب
من الهمزة الى الياء ، غير فاطنين الى ان ليس للحروف من اهمية
الا متى تنسقت كلمات لها معنى .

لم يكن الغرض من هذه السلسلة معالجة العقيدة القومية
الاجتماعية بالاساليب المألوفة فنردد ما قيل فيها ، ونعيد نشر تعاليمها .
ففي المقل الاول ذكرنا ان ما يعتنينا من المجتمع هو كيف يجب
ان نحيا فيه . وفي ما تلاه اثبتنا كيف نفذت العقيدة الائمة
بالشعب فابقظت فيه الكرامة الانسانية وجعلته يستشعر القوة
بنفسه وامته وثقته بهما .

وفي المقال السابق شرحنا كيف نشأ النظام وهو من مقومات
الحياة وعناصر الاقتدار . واليوم نجيء على ذكر « الولاء » ،
وحين نفرغ من ذكر هذه الفضائل التي نارسها - واهمية الفضيلة
بمارستها - عدنا الى الحذر وقلنا كيف جاءت الائمات . عدنا الى

النصوص ففهمنا مبعث القوة .

نحن شعب عاطفي ، لذلك جاءت فضائلنا ونقائصنا حادة . نسرف في الود كما نسرف في العدا . اذاً فليس بمستغرب ان يأتي ولاؤنا عنيفاً صارخاً وهاجاً . هي فضيلة كبرى لو ضبطناها ، ولو انها توجهت الى الغاية المشروعة النافعة لكننا دولة عظمى . الولاء للطائفة هو بطبيعته عدا لطائفة او طوائف . والطائفة وليدة الدين . ففي قصر الجهود على خير اي طائفة كفر بالدين وتهديم المجتمع الذي نسميه امة . الولاء لدولة اجنبية هو الخيانة . الولاء للمير والبنك والشيخ هو من انواع العبودية التي تتنافى مع الكرامة الانسانية . الولاء لكل من ولي الحكم هو خنوع وسخ تعطر بالكولونيا ، وتجارة من نوع حديد بقضامي .

لأول مرة في تاريخنا الحديث ينطلق الولاء مهدماً الحيطان التي سورت جهودنا فيعلن جهاده في سبيل فكرة وامة . ولقد اثبت هذا الولاء انه جوهر صاف وانه معدن ، لا مصنوع سفتاتيكي بدليل انه لم يفن حين تبعثر ، ولم يندم حين سحق ، وانه ينظم نفسه ويتألف ابدأ في سبيل عمل ايجابي . لقد سما ابناء العقيدة الى ذروة الوعي القومي حين استشعروا الولاء المطلق لأمتهم . الولاء الصافي الصلب للفكرة والامة لم يستشعره وينقذه الا ابناء هذا الايمان .

ان اولى واجباتك يا مواطني ، ان كنت في حقيقة الامر متوثباً الى المساهمة بحركة الانقاذ ، ان تعتنق هذه العقيدة . وستجد انك قد احسنت الى نفسك كثيراً حين تخطو . فمن قصد الى النور اكتشف ، لأول مرة ، من مباحج الحياة ان عينيه تبصر ان .

ور المعرفة وبلوطها !

[هذا المقال كتب رداً على مغالطات

شاعر]

كثيراً ما يجذب الفكر حين يخلص اللفظ، ورب اديب احسن الى نفسه لو اقتصرت جهوده على الانتاج في نطاق مواهبه فراح ينظم الشعر ، ويتوسل في الانشاء الفخم ، فلا يتوهم اذ ذاك ولا يوههم قراءه ان في جزالة اللفظ بدلاً عن وضوح التفكير، وفي تصيد النقاش معذرة عن الانتاج في حقل يتعمق على المشتغلين به بحاجه الحرمان والتضحية والصلابة - وهذه الفضائل ما هي من مرادفات الشاعرية ، والبلاغة والترسل .

في « نهار » سابق ظهر مقال وقعه « ثعلبة » - مقال يلاطم اوله آخره ، ووسطه حائر يتلفت بين طرفيه - يتساءل فيه كاتبه - بين مد الانشاء وجزر التفكير - عن العقيدة والطقوس ، ثم هو يذكر شيئاً عن بعض العقاقير . اما الطقوس ، فمن لم نتحدث عنها لسبب بسيط ، وهو انه ليس عندنا طقوس فلماذا جاء صاحبنا على ذكرها ؟ واما الأدوية فكل ما أعرف عنها ان بعض البرشانات السامة تطلوها حلاوة ملونة . واما العقيدة التي يريد شرحها ، فقد شرحها مبدعها في اثني عشر كتاباً ، وشرحها معتنقوها في الوف من الصفحات خلال عشرين سنة من جهاد وتضحية ودروس

ونقاش وبحوث . فهل يريدني المستفهم ان اقضي العمر مردداً :
« يا ليل » ؟ وهل هو حقاً يتوخى البحث في جوهر العقيدة؟ اذاً
فلماذا لا يمد يده ويتناول مجلداً يقرأ فيه الاصل والشرح؟ بل لماذا
لا يعمّن النظر في القطع التي نشرتها « النهار » و « كل شيء » و « الاحد »
فيجد اني اوضعت الواضح في عبارات لا تسبح في « مياه البعيرة »
ولا تتزين « بالدُر والياقوت : در المعرفة وياقوت المحبة » . ثم هو
ينكر علي ان ابحت « في اعمال هؤلاء الذين ساروا على هذه الطرق ،
واجتازوا تلك المسالك » ويرجو « ان لا نتعب الاقلام في التحدث
عن المؤمنين بالعقيدة » . يا جميل - يا حلو - يا لطيف - الله يخزي
العين ! . يعني ان كل ما في الامة هو دستور الامة . اما تنفيذه
والقائمون على تنفيذه فليس لهم اهمية . يا لسمو التفكير ! يعني انه
يجب على المزارع ان يفني السنين متحدثاً عن « كتاب « زراعة
التفاح » ، اما جنينة ريشار عبد النور في « المديرج » فلا تستحق
الالتفات .

هذا هو المميز الاسامي للعقيدة الاجتماعية ، اذ انها ايمان يمارسه
معتنقوه ، وغيرها من العقائد ايمان يتغنى به من ينادون عليه . وقد
سطعت هذه الحقيقة في 22 الشهر الماضي - يوم الاستقلال - اذ
انه في الساعة التي كان فيها الذين يفهمون العقيدة طقوساً من اغان ،
ومشاعل ، وخطب ، واستعراضات ، واذاعات ، وافتتاحيات ،
يملاون بها شوارع بيروت ، كان فتيان من القوميين الاجتماعيين
يتفقدون قبراً منسياً ، لرفيق لهم استشهد وحده في معركة
الاستقلال (عين عنوب - بشامون) واسمه سعيد فخر الدين .

كان يبحث في ذلك اليوم كبير اولاد الشهيد عن عمل يرتزق منه ،
وفي اليوم الذي ابتعد به سائر اولاد الشهيد سعيد فخر الدين عن المدرسة
لأن حكومة هذا المجتمع قطعت عنهم المنح ، كان المؤمنون
بنظرية « ثعلبة » يبحثون في مغزى الاستقلال ، ويمجدون ابطاله .
اما القوميون الاجتماعيون فما تغنوا بل مارسوا ايمانهم فاتخذوا
الخطوات العملية لتأمين عيش اولاد الشهيد ، وتجسيد العزة
الوطنية في بناء خريج لمن فهم « جوهر العقيدة » ومارسها استشهاده .
هذا هو الفرق بين « در المعرفة » وبلوطها . ولك مني « يا قوت
المحبة » يا « ثعلبة » .

مدرستان ...!

[الملاحظ في هذا المقال أنه كتب
من غير أن يعطي النائب العام سلاح
الاتهام القانوني . وظهر على أثر وشاية
تقدم بها احدهم ضد رفقاءنا الذين ما
زالوا في السجون .]

السفر مدرسة - الجندي مدرسة - الحياة مدرسة - ولقد
سمعتني اقول ان القومية الاجتماعية مدرسة .

غير انه ليس للحرف المطبوع ، مهما شع ، ان يسطع بمثل
روعة الوقائع . لذلك اريد ان احدثك عن مدرستين وهما في
سجن . ولكني ارجوك ان تذكر اننا لا نتحدث عن القوميين
الاجتماعيين ولا عن سجن القلعة ولا عن بيروت - هذا امر مهم
يجب ان تذكره انت وان تذكره - النيابة العامة - لو فرضنا
انه ، مثلاً . فانها رسالة تلقيتها من « الفلبين » تحدثني عن حركة
« الهوكبلاهب » في احدى الجزر التي تدعى « مامباهو » وانتهى
الامر - مؤقتاً - بأن دخل السجن باحكام مختلفة مؤبدة وغـير
مؤبدة فتيان آمنوا بعقيدة . غير ان مدرسة الحركة التي انجبتهم

غرست فيهم تقوية النفس والجسد والذهن فانكبوا في ساعات
النهار على الدرس والمطالعة ، فصار اميهم متعلماً ، والذي يحسن
القراءة منهم مطالعاً متفهماً . فعلوا ذلك - كفتيان - نظام
ودربة - ضمن القوانين ، روحها وحرورها ، التي تسود السجن .
وكان على الحاكمين ، وقد صفوا الحساب معهم يوم عزلوهم عن
الناس ان يوفروا لهم هذه الثقافة التي وفرها المساجين لنفوسهم .
وارتجفت الارض مرة - وكثيراً ما تهتز الارض في الفلبين ،
ويؤكد علماء الجيولوجيا انها معرضة للزلازل - فاغتسم السجنون
هذه الفرصة ووشوا بالمساجين انهم جماعة شغب وقلق وانهم هم
الذين يزلزلون الارض .

والسجنون مثل سواهم من الناس هم خريجو مدرسة ايضاً .
ولكن هذه المدرسة تبشر بهدف واحد هو الوصول الى مراكز
النفوذ . ولا بأس ان تسلك اليها اسباب الوشاية والرشوة
والكذب على حساب النفوس البشرية فاتخذت الاجراءات الجزرية
بحق المساجين .

انت ياسيدي القاريء تجد في هذا السجن مدرستين : واحدة
تنشر النور في ظلمة الحبس ، وثانية تنشر الظلمة خارج الحبس .
اناس ينشأون على مضجع الخوف والاسلحة في ايديهم ، ومضطهدون
يضطجعون على فراش الطمانينة والحرايب مصوبة اليهم . في السجن
مدرسة ايمان ومدرسة سلطان ، واذا كانت المدارس تشكر او
تؤذل بسبب تلامذتها او خريجيها فلك ان تختار بين اثنتين ، ولك
ان تخبرني من هو السجن ومن هو السجان .

ولا تنس ، ياسيدي القاريء ، اننا لا نتحدث عن القوميين
الاجتماعيين ، ولا عن سجن القلعة ولا عن بيروت . هذا امر مهم
يجب ان تذكره انت وان تذكره النيابة العامة - لو فرضنا
انه ، مثلاً .

برسم الاجانب

كثيراً ما تلمّتي بأجنبي ما فيسحب من تحت إبطه عبارات تلفّها حلاوة الفصاحة مغلفة بأوراق ملوّنة من جمال المنطق فيبادرك بقوله : « ماذا نستطيع ان نفعل من اجلكم ؟ ليس من حقنا التدخل بشؤونكم . معضلاتكم الداخلية هي آلام في رؤوسكم لا رؤوسنا . ثم انه علينا ان نتعامل مع الحكومات والسلطات الشرعية فاسدة كانت أو صالحة . »

ليفهم الفرنجة ان المواطن الذي يحترم نفسه ويفهم استقلاله لا يبرع مستنجداً بالغريب . نحن لا نطلب تدخل الاجنبي بل نحترق من يطلب تدخله . واننا لنبغجلنا ان نسمع ان المفوضيات الاجنبية تعنى بشؤوننا الداخلية او الخارجية . ولولا خنوع ارباب السلطة وتهرؤ ضمائرهم وتلاشي قواهم الشعبية لما أذنوا للأجنبي ان يبحث معهم الموقف الداخلي او الخارجي . كذلك لا تمثل هذا الشعب فئة وتسماها طابع العبودية يشوقها ان تتمرغ على اعتاب الاغراب ، مستبعدة حمايته واشوته واحسانه

نحن نقول للأجنبي : « ليس من حقك ، ولن نرضى لأنفسنا

ان تساهم انت في حملة التطهير التي مافتىء شعبنا يتطلبها. ولكن من واجبك ان تطهر صفوفك ، قبل ان تدم اللصوص من ابناء قومنا ، فتش على اللصوص من ابناء قومك . وقبل ان تشمخ علينا وتمزأ بمؤسساتنا وانظمتنا ، تطلع الى مؤسساتك هنا كيف تنهب هذا الشعب ، وكيف يحالف اشرارها اشرارنا ، ثم دلني على بادرة صداقة واحدة قامت بها الدول الغربية نحو دولنا منذ جريئة فلسطين حتى هذا اليوم .

ان الغربيين الذين يهمهم جداً ان تستقر هذه البقعة من الدنيا وتصبح شعوبها حليفهم يجب ان يفهموا ان التهويل علينا باخطار الشيوعية لا يكفي لكسب رضانا ، ولنا نحن من الذين يهتقدون ان المعسكر الغربي غير مساهم في افساد الحكومات في اقطارنا . ان انكسروا في سياستها الخارجية منذ الحرب الأخيرة لم تكن اشد نجاحاً منها يوم عكست تفكيرها التقليدي وخرجت من الهند . ولم تكن باشد فشلاً منها يوم استمرت بسياساتها التقليدية في ايران ، متبعة سياستها القديمة .

والغربيون بوجه عام لن ينفذوا الى قلوب الشعب ، ولن يظفروا بوده الا حين يبدأون صفحة جديدة فيعكسون موقفهم من كل شخص ، وحكومة ، وشعب ، ومعضلة ويرمون بالمنظار الملون الذي ما برحوا يضعونه على عيونهم هنا .

منذ اسبوعين مشى في شوارع طهران الشيوعيون والوطنيون متضافرين في مظاهرة دامية .

ليفهم الغربيون الذين يريدون مكافحة الشيوعيين ان جمهور

هذا الشعب بهم ان يتخذ موقفاً هو : عليّ وعلى اعدائك يا غريب !
وما داموا هم يتدخلون بشؤوننا ، فاقبل واجباتهم نحو نفوسهم ،
وسلامة مصالحهم ان يوجهوا نفوذهم هذا ، غير المشروع ، في السبيل
القويم المشروع .

ثورة في التفكير !..

تأتي جهود الفرد ، كبيرة او صغيرة ، على قدر الاحداث التي تجابهه ، حتى لقد يقفز الكسيح من سريه حين تهدده النار .
والأمم مثل هذه الوثبات . فتو كيا التي كانت رجل أوروبا المريض ، انتفضت بعد الحرب العالمية الاولى انتفاضة نعتها يومئذ الرجعيون بانها ستؤدي بها الى العدم . وانكاثرا بعد ويلات الحرب العالمية الثانية اهتزت واعنتقت نظاماً قال فيه كبار المفكرين التقليديين من لابيبي المونوكل ان عنفه سيذهب بها الى الحراب في عامين او اقل .

اما هنا بعد كارثة فلسطين فان تفكيرنا الكسيح لم يقفز من فراشه ، بل ازداد العويل ونتف الشعر وقرع الصدور ، وسادت فكرة واعظة تقول بتغيير الاشخاص والحكومات .

وما كانت ولن تكون الحكومات والاشخاص إلا من بعض مظاهر عافية الشعب او مرضه .

نحن اشد ما نكون حاجة اليوم الى قفزة من السريه ، قفزة في التفكير ثورية .

هذه الوثبة المنقذة ، قد وفرتها دفعة واحدة ، ونظمتها العقيدة القومية الاجتماعية ، وسيبقى امر مستقبل هذه الامة وحاضرها من نجاح او فشل ، رهن ما ينفذ في المجتمع ، ما نفذه ويمارسه القوميون الاجتماعيون في صفوفهم .

البحرني قائل

كثيراً ما تساءلت كم بطشت مفاهيمنا المغلوطة بحيويتنا
المنتجة .

في هذا الشطر من الدنيا نتوهم الشراسة وجولة ، والفطرسية
فروسية .

ان مآسي كثيرة وجرائم كان من الممكن تلافيها لو اننا
ربينا على التفهم الصحيح من ان الكبر في قولك « عفواً » لا
تواخذني « انا اخطأت » . وان من الفروسية ان تفسح الطريق
لسواك لا ان تسدها عليه .

ولا يقتصر هذا الجهل على الاشخاص بل يتعداه الى الجماعات ،
في التفكير الواعي والباطن .

في هذا البلد فئات كثيرة متدمرة ناقمة مستعدة ان تعتنق اية
عقيدة تصلح لأن تكون اداة انقاذ ، ولكنها في تفكيرها الباطني
او الواعي لم تنعتق بعد من اقطاعية الاجيال المظلمة او الطائفية
المحرقة ، فهي تأبى ان تسير في جيش عبأه رجل من الشعب اسمه
« انطون » . بل كانت اتهافت على اعتناق هذه المبادئ . نفسها لو

ان الذي بشر بها رجل وقور اسمه بندر بك سيسبان حفيد
سيسبان باشا الذي كان متصرفاً على نابلس في زمن الاتراك والذي
جد خاله كان ترجاناً في قنصلية فرنسا سنة ١٧٩٤ .

وفي هذا البلد الف مخلص يهيمه ان يسير في حركة وطنية شرط
ان يكون رئيسها احد ابناء عائلته او على الاقل احد ابناء
طائفته او منطقته .

وتاريخ بلادنا في القرن العشرين يحفل بالاحزاب التي خلقها ثم
قتلها خالقها او خالقوها .

خل عنك ما يقولون في نابوليون ، فهو على رغم عبقريته
العسكرية ، يعرف علماء التاريخ ان سر قوته كمن في انه كان
يقود جيشاً مدرباً ، في حين كانت دول اوربا تحارب بجماعات
مسلحة .

ان سر القوة في ابناء العقيدة القوة الاجتماعية هو انهم جيش
منظم ، آمنوا برسالة رجل برز من الشعب فما اشترط عليهم ولا
اشترطوا عليه منطقة او ديناً او طبقة .

وانهم ، حين يسرون اليوم على طريق الحياة ، لا يهمهم اين
مكانهم في هذه الجبهة ، وما هي رتبهم . لذلك بلغوا ذروة القوة ،
فالفظوا جانباً كل من اراد ان يندس في صفوفهم وحافزه الوحيد
ان يتزعمهم .

وسيستمررون في النضال ، وسيتكاثرون ، وسينتصرون لأن
كل واحد منهم هو قائد وطنية .

أخبار به ..؟

[اتخذ بعض صغار الموظفين في مختلف الدوائر ، خلال العهد الماضي مهنة الدس والوشاية يتملقون بها رؤساءهم . فكل يوم انباء عن الحزب ونشاطه ولوائحه سوداء باسماء من سينتاله الحزب . هذا المقال ظهر على اثر اشاعة .]

تقرير سري خطير يرفعه الموظف الاستاذ شمدص جهجاه الى رئيس دائرته بخصوص نشاط حزب منهمل :
سيدي !

حين تحررت سفتاكم الكريمتان بالامر ، اطعته حالا وانطلقت اعد العدة للتجسس على هؤلاء الاوباش المهووسين الخونة عمال الالمان والاطليان ، فرأيت ان اقوم بهذا الامر منفرداً ومتخفياً . لذلك لمست بنطاوني ، لانه لا يخفاكم انه ليس من اصالة الرأي ان اقوم باعمال الاستخبار من غير بنطاون . ولم اكتف بلبس البنطاون بل زررته . وحالا توجهت الى موقف سيارات فناداني سائق تاكسي عرفت فوراً انه قومي اجتماعي لانه ناداني بقوله « نعم يا

استأز . وفي غفلة منه فتبعت خزان السيارة وغرزت فيه انقي ونشقت . وركبت الاوتوموبيل فوضح لي ان هذا الشخص فدائي لان ما كان في خزان سيارته هو سائل متفجر يدعى بنزين ، وعدا عن ذلك فقد كانت دواليب السيارة الاربعة مستديرة . ثم ان الشوفير كان يزمر عند كل كوع مما يدل على انه كان يعطي اشارات لبعض المتأمرين . وقد لحظت ان امامه مرآة تمكنه من رؤية ما ورائه . وحين خرجنا من بيروت تفجّر السائق باغنية ثورية حربية مطلعها « هيهات يا ابو الزلف » ، فجاءلاً اعلنت حالة الطوارئ ، وقبعت في مقعدي اترقب تطورات الموقف بدقة وحذر . وكان من الطبيعي ان اداهم مناطق الشبهة فتوجهت حالاً الى الشوف ، والماتن ، والكورة وطوقت جميع القرى دفعة واحدة . ويوسفني اننا في الحريف ، غير اني تكنت اخيراً من رؤية ورقة تين واحدة اختبأت ورائها . فما ان جاء المساء حتى بدأت جموع المسلمين تزحف نحو القرى ، وكل واحد حامل بارودة حربية من آخر طراز طويلة طويلة ، وفي يسراه سلة قذائف جهنمية . وليس يخفى عليكم انني من البسالة ما تعرفون ، ولعلكم تذكر انني في السنة الفائتة ، ليلة العيد ، اطلقت مئتي رصاصة في ساحة البرج . لا اقول هذا على سبيل التبجح بل لاثبت ان بطولتي امر معترف به . لذلك وثبتت على ولد صغير في يمينه البارودة الطويلة ، وفي يسراه سلة المتفجرات ، وفاجأته بسؤال : « ماذا تحمل ؟ » فارتعب الولد وقال : « هذه سلة زيتون ، وهذا مفراط » . فتأمل في هذه الجماعة كيف حذق افرادها فن التفاصيل والانكار . حينئذ

فككت الحصار عن مناطق الشوف - المتن - الكورة مطمئناً
الى ان الحالة فيها لينة تنذر بشر مستطير . وتوجهت الى البقاع
متفحصاً الامور في زحلة ، بعلبك ، الهرمل ، راشيا ، في وقت
واحد لان الحالة تستدعي العمل السريع . اما في زحلة فالجو
مريب جداً لانني ذهبت الى وادي العرائش وهو كما تعرفون
موضوع التغني وقد كان في الصيف الماضي يعج بالالوف ، اما
الآن فهو مهجور . ما هو السبب ؟ هذا هو السؤال العظيم . لماذا
اقلت المقاهي ، ولماذا انقطع الناس عن ارتياد « وادي العرائش »
في زحلة ! في الامر ما يشغل البال . اما في جنوب البقاع فان
النشاط باد للعيان . والمعدات الحربية تنتقل وتهدر . وقد اقتحمت
بما عرف عني من جرأة ، احد المعسكرات القومية الاجتماعية ،
وسالت القائد ماذا يفعل ؟ فتظاهر بانه يجهل العربية - والمعروف
عن هذه الجماعة انها معادية للعروبة - وتكلم بالفرنسية مدعياً انه
يفتش عن الزيت (نفس المعدن الذي منه تصنع المتفجرات التي
ملأت خزان سيارة الشوفير القومي) وان بيده ماذونية من
الحكومة اللبنانية . ففوراً ونهائياً اعتقدت انه كاذب ، مثل ذلك
الغلام الذي اراد ان يوهمني ان القنابل في السلة هي زيتون ،
والبارودة الحربية هي مفراط .

وفي بعلبك الحالة خطيرة جداً فقد بنى القوميون الاجتماعيون
حصناً ضخماً يعرف باسم « قلعة بعلبك » . ياسيدي ، انا لا ابالغ
اذا قلت لكم ان العواميد علوها ١٨ متراً ، وعرض الحائط اربعة
امتار . حيطان هائلة . ودهاليز لها اول وليس لها آخر . والناس

تأتي للفرجة على عينك يا تاجر . الصحيح ان الحكومة اسرفت في
تدليل هؤلاء الحونة المهووسين عمال الالمان والطيان . ولأصباب
لا تخفى لم اذهب الى الهرمل . انا شجاع انما غيري اشجع مني ،
واكثر مني ، ولم يذهب الى الهرمل . واعتقد انكم تعذرونني
ياسيدي ، ولكنني فهمت شيئاً يثير الشك ، وهو انه لم يقع خلال
ال 24 ساعة الماضية ولا قتل في الهرمل ! هذا سؤال كبير يحرك
الظنون . لماذا لم يقع قتل واحد خلال 24 ساعة في الهرمل ؟ وفيما
انا في هذه المناطق ، كنت كذلك في طرابلس حيث اتوقع انفجاراً
في اية لحظة كانت ، والسبب هو ابيات شعر القاها شاعر حموي في
حفلة تأبين جاء فيها على ذكر الوحدة السورية . والرأي العام ساخط
على الحكومة لأن بدر الدين الحامد ذكر الوحدة السورية ولم تثب
السلطات لسحق القوميين الاجتماعيين مع ان بعض الصحف الوطنية
الخالصة حرصتها على مثل هذا العمل . ولا تعتقدوا ياسيدي انني اهملت
امر بيروت فاني قمت بهذه الجولة التفتيشية من غير ان ابرح العاصمة
اللبنانية . وقد اوافيكم بتقرير مفصل . غير انني ابشركم انني
توصلت بوسائلتي البوليسية الخاصة الى الحصول على بعض اعداد
« النهار » « كل شيء » « الاحد » . وارجو ان تلاحظوا اللون
الاحمر في هذه الجرائد مما يثبت ان حلفاً بين القوميين الاجتماعيين
وبين الشيوعيين قد اعلن في الحفاء (عبارة سأشرحها فيما بعد) ،
والمهم ان تنقلوا الى المسؤولين ان الحالة خطيرة وخطيرة فليأخذوا
التحفظات الضرورية واهمها البطش بهؤلاء الجماعة .

خادمكم المطيع : شمدص جهججاه

حاشية : واصلكم 12 سمعة ودجاجة ارض . مأكول الهنا .
وفي هذه المناسبة اذكركم بضرورة تعيين ابن خالنا ، محسوبكم
بندر علوش ، كأحد اساتذة الجامعة اللبنانية العتيقة ، فهو فقير
ذو عائلة ولا يستطيع كسب الرزق بسبب انه يجمل القراءة
والكتابة .

وفات نثقل

يتولى عني اليوم تحرير هذا الحقل رجل لم اسمع به من قبل ان قرأت رسالته الى جريدة التيمز النيويوركية مؤرخة في 30 اكتوبر سنة 1951 . واسم هذا المراسل « جاد تار » Gudd L. Teller يرد بها على مراسل آخر سماه ممتازاً ويدعى هنسن بولدون (Hanson W. Baldwin) وقد كان هذا سبق فنشر مقالاً ينذر به الغربيين من حرب العصابات التي قد يقوم بها العرب فرد عليه بقوله : لا تخافوا فالعرب لن يقاتلوا .

ولقد استلقت نظري هذا المقطع الذي جاء في مقال المراسل « جاد تار » : - « ان العربي لا يزال مقاتلاً باسلاً خطراً ، غير انه من الظاهر ان ليس في وسع قادته ان يشيروه ، وليس له من ثقة فيهم ولا في قضيتهم . اما قادة صفوفه الثانية والثالثة ، فأكثرهم انتهزيون ، متنعمون ، مثقفون على يد الغرب ، محبسون عن المخاطرة بأعناقهم فيما هم يحرضون العامة كي يقاتلوا من اجلهم . » ان العقيدة القومية الاجتماعية ما هي بعقيدة تحريض ، وابناؤها لا يكون الى سموهم امر القتال ، بل هم يتولون بأرواحهم الدفاع

عن ايمانهم .

وفي مقابر بيروت رفات ، تحركت وانتقلت ، لتنبئ الناس
عن الايمان الذي ليس بين معتنقيه خاصة وعامة ، وعن الابطال
الذين لا يحرضون بل يبدأون بنفوسهم ، بدلاً من ان يقصروا
همهم على التحريض والتغني الحامل بذلك الذي قال - منذ اكثر من
الف عام - « ابدأ بنفسي »

هنا النماذج

هل لك في هذه الدنيا صديق ؟ إن كان جوابك نفياً فالذنب ذنبك ، اذ انه ليس من المعقول ان لا يكون بين ملايين البشر من يستحق اخاءك . واصل ادق موازين النجاح في الحياة كثرة الاصدقاء أو قلةهم ، وان من مظاهر العفن في التفكير ، والمرض في النفوس ، شيوع هذه الامثال عن استحالة وجود الصديق . غير ان الميدان الضيق الذي يجبس نشاط المرء من جوار ، ومهنة ، وعائلة ، وجبهة عمل — لا ييسر له ان يظفر إلا بعدد من الاصدقاء هو ، مهما كثر ، يبقى ضئيلاً اذا قيس بعدد مواطني الامة .

وتولد العقيدة القومية الاجتماعية ، وليس لها اليوم في لبنان سقف يظللها ، فتوفر فوراً لمعتنقيها الوفاً والوفاء من الاصدقاء ، رجالاً ونساء ، من كل الطوائف ومن كل المدن والقرى ومن كل الطبقات ، فيشعر المؤمن بها وقد صار رفيقاً ، ان القلوب فتحت له ، وانه حين اذاب نفسه في هذه الموجة ارتفع معها في قوة وكبر .

وفي بيروت بعض اندية ، كثيراً ما شمع روادها بأنهم من
اعضاءها . وفي لبنان ناد ليس له رسوم للدخول فيه ، وليس له من
طقوس . هو بدون ريب اقوى الاندية ، واشرفها واكثرها
عداً ، وانيلها روحية . ناد يسهل لك اخاء الالوف والالوف .
كل ما تحتاج الى الانضمام اليه ، ان توسع آفاقك ، فتدرس منهجه
وتعتبر بالخدمة التي اداها ويؤديها للوطن . هذا النادي - نادي
القومية الاجتماعية - لن يفتح لأحد ابوابه ، لان ليس له ابواب .
هذا النادي يصبح ملكك حين تصبح ملكه . وان نشاط الحياة
العادي الذي يقصر خطواتك على الشوط القصير وصادقتك على
الاشخاص القليلين ، يفتح امامك جبهة لا حدود لها ، ويشد
يدك الى ابد غفيرة العد ، حين تشرتك الحياة بأن تسمي من
رفقاء ابناء الحياة .

وان كنت تحسب انك من العلو بأنك تنخفض حين تواكب
بائع الجرائد وماسح الاحذية ، فاذا كر ان خفق الاجنحة التي
تسمو بالطير عن صعيد البسيطة هي حركة عنف تصل مرتفعاً
بمنخفض ، فاذا هنالك لا انخفاض ولا ارتفاع .

الجاهل الثاني...!

يريدون نقاشاً علمياً .

ويفهمون بالعلم عبارات ضخمة ، وكلمات تعددت مقاطعها ، واستشهادات تتبرج باسماء فلاسفة وشعراء وقادة نهضة .

ولقد ترددت لفظة « العلم » حتى خدعت الناطقين بها .

ان كان هذا علماً ، فاني لأظهر في غد باوراقى المدرسية ، ألوح بها اني كنت من علماء هذا البلد .

الكيمياء علم . الحساب علم . ولكن من الثابت ان ليس في الاجتماع « علم » .

ولعل اسطع مظاهر الجهل التبجح بالعلم .

لثقافة رسالة واحدة ، وهي ان تزودك بمعلومات ، وتشير في نفسك حب الاستطلاع ، فتوسع آفاق تفكيرك ، وترهف بصرك ، وتضع بين يديك رصيد العبرة التي استملتها من تجاربك ؛ كل هذا تمهيد لقرار تمليه عليك يفضة النفس وسلطة العقل وهزة الضمير .

اما علماء هذه الايام ، فينعمتون بالعلم سطوراً تتدحرج من الكتب ، لا فكراً يعي ويشور . يتشوفون بنظارات تطمس

الابصار ولا تعكس الا الكتب التي تقع اتفاقاً تحت هذا المنظار .
ان كان العلم نقلاً وسرقة وامتنشهاداً ، وبسط معلومات ، لا تفكيراً
ودرساً وملاحظة وتفاعلاً ذهنياً يتجسد انتاجاً ، فتاريخنا المعاصر
قد زكينا بغبيين اثنين طواهما الردى يجهلات العلم - احدهما
جبران خليل جبران .

أحقاً أن للألم لذة ؟ اذن فنحن اليوم ، وفي هذه الزاوية ،
ننعم بلذة كبرى لا اطيعها - وهي لذة الجدل . يسوقنا اليهم
اقوال بعض الصحف في صدد حفلة تأبينية .

درج البعض على عادة شعراء العرب الاقدمين ، فمن الغزل
الى الفخر الى التفجع على الطول ، حتى يخلصوا اخيراً الى الهجوم على
من كانوا من اعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي .

لذلك لم يكن من الغريب ان يأتي بيت شعر . قاله بدر الدين
حامد في حفلة رثاء عبد الحميد كرامه في طرابلس سبباً منطقياً الى
الانتهاء بالتعريض على الحزب وقد كان الحزب غريباً عن الحفلة ،
وهو في لبنان غير موجود - والصاق التهمة بأنه « يدغدغ دلاله
المتنفذون » . اما الترويج ضد الكيان اللبناني فان ابناء العقيدة
القومية الاجتماعية لا يريدون وحدة تفرض فرضاً ، بل كل همهم
ان يبشروا - وبالا ماليب المشروعة - فيولدوا وعياً شاملاً حتى
اذا بلغ التطور والتفهم درجة الاقتناع في مجموع الشعب ، وزالت
عوامل الحذر ، اذ يغمر النور والايمان والثقة نفوس افراد الشعب ،

اتخذت الامة آنئذ خطوات قانونية مشروعة تتجسد فيها ارادتها .
وهذا التطور والتفهم هما رهن الزمن . وفي كندا وفي الولايات
المتحدة منظمات وأشخاص بارزون يقولون بوحدة معجلة او مؤجلة
بين كندا والولايات المتحدة ، ولم نسمع بأن احداً منهم وحس
او مثل امام المحاكم . اما ، « الدلال الذي يدغدغه المتنفذون »
والمسيطرون ، فمن بعض مظاهره :

- 1 - عدم توظيف احد من ابناء العقيدة في الحكومة . 2 -
- طرد الكثيرين من الدوائر الرسمية . 3 - اذاعة مبرية الى الشركات
- ان لا تستخدم الشيوعيين ولا اعضاء الحزب السوري القومي
- السابقين . 4 - عرقلة مصالح القوميين الاجتماعيين في كل الدوائر
- 5 - رقابة شديدة على التلفزيونات والتجول وقد تسربت الى دوائر
- الأمن بعض اوراق القوميين الخاصة . 6 - واخيراً ومؤخراً
- اتخذ بعض التدابير الجزرية ضد بعض المساجين وهم في مكان
- لا يستطيعون به اذية احد . اما حرية البحث في الايمان ، وهو
- حق تكفله دساتير الامم الحرة ، فهذا حصار ما فك عنهم ولكنه
- حصار خرقوه . وليس منهم من تراوده نفسه بأعمال العنف ،
- ولكن من مصلحة بعض محترفي السياسة ان يُبقوا بعض محترفي
- السياسة في حالة دعر مستمر .

نكته مستمرة

الجاهل يدفع ثمن جهله ، دولة كان ام فرداً .
انكلترا فقدت بعض اجزاء امبراطورية لأنها لم تفهم الشعوب .
فرنسا هوت الى مقام دولي ثانوي للسبب نفسه . واميركا حرمت
اكبر سوق عالمي - الصين - وهي تدفع الدم في كوريا ثمناً
لجهلها الشعب .

رجال الحكم المزمنون هنا - من هم اليوم في السراي ، ومن
كانوا امس ، ومن قد يأتون في الغد القريب ، يفهمون من امور
الشعب انه غير موجود . فأحاديثهم وتفكيرهم ومزاحهم واعمالهم
تنطلق من فلسفة خاصة - هذه قاعدتها . بل هذه هي النكته
المستمرة ، تستثير القهقهات في الدواوين والحفلات . ورستخ هذه
الفلسفة في الخيالات موضة ترداد شرحها كتابة وخطابة .

ولكن من درس النهضةات يعلم ان الشعب قد يهفو او ينفو ،
ولكنه لا يموت . بل ان حيويته تثبت موجوديتها ابداً - في
ثورة ، في نقمة ، في صحافة ، في مظاهرة ، او في انتخاب .
والشعب بطبيعته ، وبسبب النشوء والارتقاء ، جاهد ابداً

نحو الافضل والا كمل .

فان كانت حقيقة العلم والمنطق والواقع تثبت ان الشعب هو
ابدأ واثب نحو الاصلاح والرفي ، فما الغرابة في ان يكون بين
الشعب افراد هذا حافزهم لا سواه ؟

حقيقة لا يريد البعض ان يراها فينا ، نحن القوميين الاجتماعيين ،
لغرض في النفس . ولا يراها آخرون ، لأن شعاع وضوحها يبهر
الأبصار .

في كل قطر ، وفي كل زمن ، اثبتت الحوادث ان اصحاب
النكته المستمرة يستفيقون فجأة ليكتشفوا انهم كانوا يضحكون
بالمقلوب .

البوابة ١٠٠

من احتقر نفسه ، لن يحترمه الناس . وعلماء النفس يثبتون ان من عوامل تقوية الشخص لنفسه ان يحدث نفسه انه قوي . بل من الشروط الاولى في تربية الصغير ان تؤكد له انه ذو شأن وان تظهر له الاعجاب .

اما الاكثريّة الساحقة - اللفظة مزدوجة المعنى - من شعب هذه البلاد في عشرات السنوات الاخيرة ، فقد كانت تنطق بلسان اكثر قادتها ومتزعميها اننا امة انتهى امرها . فطلبنا القوة من سلاطين بني عثمان . وصحنا « الله وفرنسا » وتفنينا باسطول انكلترا . ورفعنا علماً هو من وبر الجمال . وحلفنا بين الوفاء لموسكو ، وللقياصرة ، ولويلسون ، ولعلم النجوم والخطوط . انتظرنا القوة ترسل الينا طرداً في البريد من مختلف انحاء الدنيا ، وغفلنا عن حقيقة امر يقره علم النفس ، وهو ان القوة كامنة في نفوسنا .

ان العقيدة القومية ايقظت في صدور ابنائنا هذه الحقيقة الاجتماعية ورسختها . قالت للناس وبرهنت للناس ان قوانيننا ، ولم يكن هذا القول بياناً وكلاماً منمقاً ولا تلقاً يبتغي استهواء

انظر ماذا فعل اليهودي حين حدث نفسه بانه قوي . اليهودي الذي كان حتى سنوات مسلفت رمز الجبن والانحرام ، وهدف الاضطهاد ، صار شجاعاً بطامشاً مضطهداً سيداً على نفسه وعلى سواه . واعتبر في الصينيين واقرأ باي بطولة هم يحاربون في شمال كوريا ، ثم اسألني وسل اي شخص عرف الصينيين في الماضي كيف كان يسوقهم الكرباج ، ويدعون من عطسة .

الانسان هو بعض الله . والله قوي . وكل ما يحتاجه المرء لان يستشعر بقوة وان يمارسها هو ان تهزه . والقومية الاجتماعية هزت نفوس معتنقيها . هذه هي فضيلتها الاولى . وهذا هو السبب الاول الذي حدا بي الى اعتناقها . وهذا ما يوجب عليك يا مواطني ان تقبل على تفويض علمها .

غير ان المسكنة والخنوع والاستسلام ليست وحدها من مظاهر الحقارة والضعف . اني اذكرك بان العلم - علم النفس - اثبت ان الاستعلاء هو بعض مظاهر الصغارة والجبن . كل بهوار جبان . كل متعجرف صعلوك . لذلك ما هو بكبر ما تسمعه من تبجح بماض وبخاضر ، بل هو حقارة انتفخت .

ان التطلع الى الكراسي هو الدليل الاكبر على ان المتطلعين اليها هم ادنى منها . كانت احدى سيدات المجتمع حين تدعو العظماء الى مائدتها لا تهتم بالبروتوكول في توزيع المقاعد بحجة « ان الذين لهم شأن لا يهمهم اين يجلسون ، والذين يهمهم اين يجلسون ليس لهم شأن ، فلا خير ان استأثروا »

في كل بيت من بيوتات العصور الوسطى بوابة كبرى في أسفلها باب صغير يستشعر الداخل فيه منحنياً انه حقير يدب الى كبر .
لعل الجريئة الكبرى عندنا هي اقفال البوابة الكبرى والباب الصغير ،
فلا يدخل صالون الامة الا من ضمير وهزل فانسل من ثقب الرتاج
او زحف من تحت الباب والعتبة .

ان القومية الاجتماعية حين فتحت البوابة الكبرى للشعب ،
على مصراعيها ، ليدخل المواطنون رفقاء متساوين مرتفعي الجباه ،
ردت للمواطن ثقته بنفسه ، وردت اليه بالتالي ثقته بامته كمجتمع
يوفر لكل فرد منه كرامته كإنسان .

صقيع يحرق !..

ابناء هذه العقيدة القومية الاجتماعية ، يحاربون بالسذاجة ذكاء
من يريد خداعهم او عداءهم .

حقيقة يصعب على اساطين الهمس والغمز والتطويق فهمها .
ولا يريد اولئك الحاذقون ان يسلّموا بأمر بديهي اثبتته تاريخ
هذه العقيدة وحاضرها - وهو انها تغلبت وتغلب على من يريد
ان يلعب بها ، او يستعين بانبائها ختلاً ورياء .

ما هم بشطار فتیان هذا الايمان . يتساءل المتعاطفون :
« من هو فلان من قادة هذا الفكر ؟ ومن هو فلان ؟ ومن هو
فلان ؟ »

ما هم بجبابرة - فلان وفلان وفلان . هم بعض السابلة على
طريق الحياة يسيرون فوقها بنخوة ونظام .

لا تحتقر امر الجندي . هو شيء لا اهمية له . صحيح ، ولكنه
الجيش الذي افنى فيه هذا الجندي ذاتيته هو الشيء المهم .

هذا الجيش القوي الباسل النبيل ، يجب ان لا يحتقر ولا
يخاصم ولا يستفز . ولا شيء اسهل من صداقة هذا الجيش - اعني

ابناء هذه العقيدة . اذ انه ليس فيهم من ينبغي كرسياً او غنيمة ،
فودّهم يكتسب ولا يشرى .

من يعطهم حبة من الاخلاص ، ودوها له اهرء من محبوب .
ومن حاول بالدهاء والمناورات استغلالهم او طمسهم ،
اكتشف في آخر الامر ان في سذاجتهم شطارة ، وان في شطارته
غباوة .

بعض انواع الجليد يشتد صقيعه فيمسي ناراً محرقة .

لواني صاحب الجلالة 1

هذه الرسالة كانت موجهة الى الرئيس
السابق الاستاذ بشاره الخوري بعد ان
هوى فاروق ، وقبل ان يعتزل الخوري .
« انا انسان » كلمتان افترج بهما الرئيس
بشاره الخوري مؤتمر الأونكو حين
عقد في بيروت .

كل عاقل ليس به مس من الجنون ، فهو بليد الذهن .
وانت يا قارئ مثلي تدعي الذكاء ، اذاً فيجب ان تعترف بان
فيينا شيئاً من الجنون . تراك مثلي مصاب بجنون الاحلام ؟
يا طالما حدثت نفسي باني ملك في « غمدان » وان من زملائي
فاروق . واستفقت من حلمي مذعوراً اتطلع الى حرس الفاروق
يصوبون اسلحتهم الى القصر المحروس ثم يسرون به فيركبونه
« المحروسة » . رجوتك يا قارئ ان لا تسمعي بعد اليوم الدعاء
المألوف « الله يحرسك » ، فان هذا يذكرني بالحرس والمحروس
و « المحروسة » .

وتفجرت الافراح مظاهرات ، واغاني ، ومشتائم ، وحقولاً

في الصحف سوداء ضخمة العناوين . ان نفسي لتتقرز من هذا
الجلذل الحيواني . فالشمانة احدى مظاهر البهيمية . انا انسان ،
اذاً فأنا اتعظ واعتبر . ليشتم الناس فاروقاً ما ارادوا . انا اشكره ،
انه احسن الي . انه اعطاني درساً . انا انسان ، اذاً فأنا في كل
يوم اتفهم رسالة جديدة .

لقد نصيحتني فيما مضى صديق لي ، على مسمع من الناس ،
ان اخلو الى نفسي فاعترفها . اخال ان ما يجب ان افعل
اليوم هو ان ابتعد عن نفسي حتى اراها . بلى سأبتعد عن نفسي
واكون وحيداً وحيداً ولن اسمح حتى للخوف ان يرافقي . انا
انسان ، اذاً فأنا مفكر . الخوف يشل التفكير فيجب ان
اطرده عني .

ها انا مبتعد انظر الى مملكتي فأراها فوضى وغوغاء من نقمة
وظلم وفقر وشعوذة وثروات واستغلال . أنا انسان . اذاً فالخطأ
من معائبي . انا انسان ، اذاً فالجراحة يجب ان تكون من فضائي .
هوذا اول قول جريء اتفوه به . لقد اخطأت .

القول ، ما فائدة القول اذا لم يترجم عملاً ؟ الجائع لا يشبعه
القول . ولا البائع ولا المحروم ولا المضطهد . ان مملكتي صغيرة
جميلة . وشعبها طيع نبيل . لقد كنت معبوده فيما مضى . لقد
اسمعتني الهتاف الذي لا يزال يسكر مسمعي . ولكنه كان هتافاً
غير مأجور . لماذا يرسل اللعنات نحوي اليوم . لعنات لو انها
تشعل النار لأمسى قصر « غمدان » رماداً ؟

لقد اخطأت . لقد حقّرت شعبي فحقّرني . لن اكون ساذجاً .

اني اعلم ان اكثر الثائرين علي هم من محترفي المشاغبة يبغيضونني
مخططاً ويبغيضونني مصاحباً ويبغيضونني ملاكاً او الهاً . ان صاحب
الجلالة له ابدأ اعداء لانه صاحب الجلالة . انا انسان وغيري كذلك
انسان . والانسان يحسد الانسان .

غير اني لن اقنع نفسي ان هذه النعمة الحادة الجارفة هي
ليست من صنييعي .

هؤلاء المتزعمون المستثمرون ما شأنهم في هذه الدولة ؟! انهم
لا شيء . الشعب يقاتلهم . قوتهم تهويل مستمد من القوة التي سلمتها
اياهم الدولة .

انا انسان . اذاً فانا تلميذ التجربة . شريت الولاء فانكشف
بضاعة مزيفة . جربت البطش ودفنت الحراب فنبت في طريقي
الوف من حراب جديدة . رقعت هذا الثوب فبدا خرقاً مضحكة
لا تزين ولا تدفيء .

ان القوى المسلحة هي رهن أمري . ولكنها كانت كذلك
رهن امر القوتلي وفاروق . البوليس انسان . الدركي انسان
الجندي انسان . اذاً فهو كذلك قد ينقم ويرتد ويشور .

انا انسان . ماذا ينقصني في هذه الدنيا ؟ انا صاحب الجلالة في
ذروة هذا البلد . المال موفوري ولمن احب ، ولمن اتوهم اني
احب . كل ما احتاجه هو الارادة للاصلاح والعزم على الاصلاح .
الارادة تخلق الكلمة ، والكلمة تطاع لان وسائل التنفيذ لا تزال
في يدي . علي ان انفذ .

فان عجزت عن التنفيذ ، فاول واجب نحو نفسي هو ان لا

أخدع نفسي فافسح لها مجال التقوى ، اذ ذاك قد اعتزل الدنيا
فاترهب . انا انسان فلماذا لا اكون واقعياً ، فابدأ بحزم حقائبي
وأودع غير مطرود فاكون الرابع في لعبة بروج مع فاروق
والقوتلي وزميلي الايطالي الملك « اومبرتو » . انا انسان . قد
يشلني « الروتين » . قد لا افعل شيئاً ، ان لم ابتعد عن نفسي .
لو اني صاحب الجلالة ، لابتعدت عن نفسي فهزرت الصولجان
او رميته .

الفرق .!

« لا . لا . اياك ان تذكر اسمي . قل اني لبناني صميم » .
وودعت اللبناني الصميم ، وهو صديق قديم حميم ، حشد في
خزان الدهر ثلاثين سنة من حياة مفعمة بالجهود الوطنية ، ومن
صداقات غالية تخطت حدود المناطق والطوائف ، ومن حلقات
أدب وفكر وصفاء لم يعرف لبنان لها شبيهاً ، ولعلها لن تبعث ،
ومن سلوك شخصي يقدر ان يعرضه على الجماهير في شريط سينمائي
فيخوراً بمشاهده وحوادثه .

ودّعت اللبناني الصميم بعد جلسة طويلة ، هذا ما قال فيها :
« يا أخي نحن نحترمكم . نحن لا نتهكم بالحياة . نحن معجبون
باخلاصكم واندفاعكم . ولكن تعالوا نشغل في هذا المجتمع اللبناني ،
حتى تستقيم الامور ، فان سيطر الوعي علينا هنا ، وعليهم هناك ،
الى حيث شئنا وشاؤنا ، أو اراد اولادهم وأراد اولادنا ان ننصر
في دولة مثل الولايات المتحدة - فما الضرر ؟ نحن لهذه المبادئ ،
ولهذا الهدف » .

قلت لصديقي اللبناني الصميم: «انت وأنا كلانا قومي اجتماعي،
موحد الفكر، والغاية والاساليب .
والفرق بيني وبينك انك تصر على ان يبقى اسمك مكتوماً ،
وأصر على ان اضع توقيعى في ذيل ما اكتب . »

عجبن البغضاء

ان من يقرأ آداب اللغة العربية بعينيه الاثنتين ، لا بالعيون التقليدية ، والذي درس حركاتنا الوطنية بوعي ما تعود ان ينصاع لموض الكلام ، يخلص الى استنتاج هو ان شعوب هذه البقعة من الدنيا أمست قعتاض بالبغضاء - وهي غريزة بهيمية سلبية - عن الوطنية ، وهذه شعور ، وتفكير ، وانتاج ايجابي . لقد ساهمنا في طرد الاتراك لكرهنا للاتراك ، واشتركنا بالحصول على الاستقلال لحقـدنا بالاكثر على الفرنسيين ، واردنا ان ننتصر على اليهود ببغضهم وشتهم وتحقيرهم .

وانت ان وقفت يا صديقي ، واستعرضت اشخاصاً تعرفهم وتذكرهم ، تتحقق انهم برأوا نفوسهم امام ضمائرهم وامام قومهم بانهم وطنيون غيورون بسبب بغضهم للصهاينة ، ومنهم من اتجروا وتزعموا وباعوا وشروا ، او من اقتصر انتاجهم على سلبية البغض . لعل هذا ما يفسر الافلاس الذي نزل بعد الاستقلال بمن تسموا قادة حكومات وشعوب ، اذ وضح عند الفوز بالسيادة الخارجية والداخلية ان كل وطنية عجبنها البغضاء هي وطنية

مزيفة . من فضائل العقيدة القومية الاجتماعية انها لم تنشأ نكابة
باحد من الناس ، ولا لمناوأة فئة او طائفة ، لذلك قدرت هي
- وهي وحدها فقط ، من سائر كل العقائد والمنظمات ، ان تصهر
في كيانها اشخاصاً من كل الطبقات والطوائف والمناطق ، وليست
هي في ذلك مثل غيرها من العقائد والاحزاب - التي اقتصرت
على عشيرة ، او طائفة او منطقة من الوطن ، واستعملت اسماء
اشخاص قلائل غرباء عن تلك العشيرة او الطائفة او المنطقة ،
للزينة ولرد التهم .

ان القومية الاجتماعية تعلم وتمارس اننا كلنا للوطن ، وان
الوطن لنا كلنا . وهي استطاعت - هي وحدها استطاعت - ان
تغرس في المواطن العمادي زهو العزة الوطنية ، فلم يعد غريباً عن
بلاده ، شأن زلم الاقطاعيين ، او عبيد الاجانب او السواح المقيمين
في هذا الوطن وليس لهم من ايمان الا ورقة هوية يحملونها وحملها
من قبلهم اجدادهم ، ولا شأن من يعتبرون الوطنية بغضاً ونقمة
وستيئة .

سيسجل التاريخ الحديث ان ايديولوجية الوطنية كما تفهمها
الثقافة الحديثة وضعت اسمها في بلادنا قوميتنا الاجتماعية .

العيش والسحابة

لم يكن مجاملاً ، صديقي المحامي ، حين جالس يشاطرني القهوة في الصباح ويتكلم بحمية عن نهضتنا . من الكلام ما يفيض الفاظاً تسري عبر الاذن ، ومن الكلام ما ينطلق فيلفح السمع بلذعة الصدق ، وقد تحققت ان جليسي كان مؤمناً بالعقيدة القومية الاجتماعية حين قال : « انتم الوحيدون الذين يستحقون الاحترام ، ومبادؤكم كما كتبت وشرحت ، وكما نفذت هي وحدها ، لا سواها ، كفيلة بالانقاذ » .

ودهشت اذ ذكرت ان زائري نشأ في بيئة معادية لهذه الحركة ولم يكن في سيرته ، ولا في حاضره ، ما يدل على انه من المقاتلين ، ولا من ابناء الصراع - غير ان نخوته واقتناعه وحماسه واحترامي الشخصي له اهابت بي فسألت : « اذاً فانت في طريقك اليها » ؟
أجاب : معاذ الله ! انا محام ، يكاد قصر العدل ان يسمى بيتي ، هل تريدني ان اخسر كل دعاوي ؟

الفرق بين صديقي المحامي وبين ابناء الحياة ، ان هؤلاء لا يهمهم خسارة دعاويهم الخاصة ما داموا يشتغلون في ربح الدعوى

الكبرى .

هو يقتصر العيش في قصر العدل وهم يبنون الحياة من عزال
يطل على الدنيا ، ويقزم قصورها .

النهيار وترميمهم

من أبشع مشاهد الدنيا الحراب . وان الذين صفت نفوسهم
لا يفسحون لها مدى التلذذ برؤية الانهيار . فان كل مواطن يتهدم
هو مواطن خسرناه .

وانه لمن المؤلم ان نرى بعض الشخصيات المعروفة تنتحر
مراراً كل اسبوع وتنتثر شظايا في مقالات من المغالطات
والافتراءات . وليست الكارثة في ان سياسياً تناثر الناس من
حوله وانتهى امره ، بل ان الفاجعة بخيبة فئة من الناس عقدت
الآمال عليه ، فان في ذلك ما يحجر شيئاً من حيوية الشعب
وبلاشيها . كان علماء الالمان ممن تولوا قيادة الحرب السيكولوجية
في المجزرة البشرية الاخيرة يشيرون الانباء المفرضة الكاذبة بين
جماهير اعدائهم ، ثقة منهم ان خيبة الآمال توقع في معنويات
الشعب . وانت اليوم حين تلمس الريبة في نفوس مواطنينا فلأنهم
خلال الثلاثين سنة التي مضت كانوا يوماً بعد يوم يتفائلون بشخص ما
ثم يكتشفون سريرة امره فيبتسمون بمضض خائبين .
اليوم تكتشف القومية الاجتماعية حقيقة امر من حالها يوم

كان في حاجة الى ابنائها ، وشن عليها الحرب الكلامية لغير سبب وفي غير مناسبة . وفيما هو يحاول تهديمها هدم نفسه بسرعة وبصورة نهائية .

نحن لا نفرح برؤية هذا الخراب ، بل نأمل نحن الذين ساعدنا من اراد خصومتنا ان يكشف عن نفسه ، ان يتعظ بمصابه فيجد نفسه - أخيراً .

اذ ذاك نكون قد مددنا له يد المعونة مرتين - مرة حين تهدم فاكشفت حقيقته ، ومرة حين وقف على اطلال ابعاده فلم يشتم ، ولم يتهم ، ولم يفتو ، بل كرجل ثاب الى رشده وتاب عن ذنب ، انقذ من الدمار شيئاً يشير الاحترام .

اضف الى فضائل القومية الاجتماعية انها لا تخيب آمال من اعتنقها ولا تخون .

طريق ضهر البجير وطريق مرجعهمون

من عادة اهل الكتابة ان يظفروا بالأكل مجاناً حين يحسب المضيف ان في كرمه حافزاً للاعلان عن متجره . وقد يكون من نتائج هذا المقال ان ينقطع اصحاب المطاعم والفنادق عن هذه الحماقة ، او الرشوة ، فهذه الاسطر لا تروج للاقامة ، في فندق « المسابكي » ، שתورا ، حيث اكلت وشربت مراراً عدة ، وكل مرة كنت ادفع بكلمة شكر اوجهها الى الخواجة ، صاحب الفندق بواسطة الجرسون الذي ينقل اليّ الرسالة السخية .

ووصلنا « שתורה » في عاصفة من الثلج ، راجعين الى بيروت ، فاستقبلتنا على الطريق بارودة الدركي ، وقهقهته واوامره معلنة ان الطريق مقفلة ، وانه من « الحكمة » ان نبقى في שתורה . لا ادري لماذا قهقه الدركي ، قد يكون ذلك من قبيل فرحه بصيبتنا . لعل اول تسجيل في نفس الانسان حين يسمع بموت صديق له هو فرحه ، بأن الموت نزل بصديقه لا به . ترى لهذا السبب ضحك الدركي ؟

ودخلنا الفندق . يعني اللوكندة ، فاذا هو حافل بالضيوف ،

وحافل باللاجئين . لو سُئِلت تسمية هذا العصر ، لقلت انه عصر
التندر والطرائف . فكل من تلقاه ، يمد يده الى جعبته فيتناول
منها قصصاً يرويك بها . وكان من الطبيعي ، والدنيا ثلوج
وارياح وامطار ، ان تنحرف الذكريات الى منحنى الطبيعة ،
وكانت القصة طبعاً تنتهي ببطولة راويها . أذكر ان احد اللاجئين
الى الفندق قصّ علينا كيف كان يقطع الثلوج في ظهر البيدر ذات
شتاء فهاجمه قطيعان من الذئاب ، واحد من اليمين وآخر من
اليسار فراح محدثنا البطال يقبض على ذنب الذئب المهاجم من
اليمين ، فيرمي به الذئب المهاجم من اليسار فيصرع الاثنين معاً .
وقبعنا في الفندق والثلوج والأقاصيص تتراكم ، والارياح تهب ،
وكذلك دخان الاراكيل ، وكان الثلج يتعالى في ظهر البيدر
عند دخول كل « لاجئ » جديد ، والنكبات تزداد كلما جاء من
يطلب الدفء والأمن في قاعات اللوكندة ، حتى حـدث ان في
الخروج خطوة من الفندق مقامرة وغماراً .

وجاءت « ساعة الوحشة » في المساء الباكر ، ونحن في النشوة
التي تملك من هوفي المكان الامين وسط العاصفة الخفيفة واذا بمسافر
تلاً قامته الباب ، وتلاً ابتسامته الفندق يدخل فيطلب قطعة من
اللحم كبرى ابتلعها ثم راح يغسلها في جوفه بكأس من الوسكي .
ورفع المسافر صوته متغنياً بالطبيعة وبجمال الليل ، معلناً انه
سيواصل طريقه الى بيروت عن طريق مرجعيون ، طريق خطيرة
وطويلة ، ولكنهما الطريق السالكة غير المسدودة - وان القمر
سيطلع بعد قليل ، وان السير في ذلك المساء سيكون بهيماً ، وانه

سيبلغ بيروت .

وكانت نهبات صوته ، ولهجته الواثقة المتفائلة ، واصراره على الوصول الى حيث هو قاصد ، نفحة من النسيم المنعش النقي ، في جو الحرف والدخان ، والنواذر التي ملأت غرف اللوكندة .
ووثبت مع المسافر الجريء الى سيارته فاذا القمر في السماء واذا بنا نبلغ بيروت عن طريق مرجعيون ، وكان في ذلك شيء من المغامرة خصوصاً حين لففنا بعض الاكواع . ولكننا بلغنا بيروت ، فيما بقي حتى هذه الساعة - بعد ايام اربعة - رفقاؤنا في « شتوره » .

في بلادنا اليوم ذهنية طاغية ، تأوي ، وتحولها العاصفة ، الى « فندق » فيه السلامة والدفء ، والاحاديث عن بطولات وهمية وحقيقية سلفت . أناس يتحدثون عن استحالة العبور عن طريق ظهر البيدر حيث تسد الثلوج الطريق ، وحيث تتدهور السيارات . وقليلون - مثل ذلك المسافر الجريء - عزموا على الوصول الى الهدف - بيروت - واثقين ان طريق « مرجعيون » سالكة ، ولكنها طويلة وخطرة .

ولكنك ان تصل الى بيروت الا حين تعزم وتسير نحو بيروت . ولن تزيل ثلوج ظهر البيدر ، احاديث القابعين في فندق « شتوره » الذين اقنعوا انفسهم ويحاولون ان يقنعوك ان الوصول الى بيروت مستحيل . وحين تعزم على الوصول الى بيروت في العاصفة ، فلا يفاجئك ظهور دركي يلوح ببارودته ، ويأمر ، ويقهقه ! .

oboeikandi.com

أبلغوا وأبلغوا

التصريح وما يليه من مقالات ثمانية
قد نشرت جميعها متتابعة في مجلة « كل
شيء » الأسبوعية .

oboeikandi.com

لو انما نوع من بالاغتيال لمدحرجت روعوس كثيرة

الاضواء تتركز في هذه الايام على
الشيخ سعيد تقي الدين عميد الاذاعة في
الحزب القومي الاجتماعي ...

فهو الذي يخوض اليوم مع المسؤولين
السوريين اعنف معركة في سبيل ان
يبقى على كيان الحزب القومي الذي داهته
عواصف النعمة بعد مقتل العقيد المرحوم
عدنان المالكي .

ووضعت « كل شيء » هذه الاسئلة
امام الشيخ سعيد تقي الدين ، فأجاب
عليها بهذه الصراحة المطلقة .

قلنا له :

— توجه الى الحزب القومي نهم عديدة منها انه حزب يسلك
طريق الاغتيال السياسي لتحقيق مبادئه ، وانه هو الذي قتل
رياض الصلح في الماضي وعدنان المالكي في الحاضر ، فما هو دفاعكم
عن هذه التهمة ؟ .

واجاب الشيخ القومي :

— مبدأ « الدفاع » عن التهمة هو مبدأ مغاوط ، فالمبدأ الذي اعتمد منذ عهد السوريين الاقدمين الى عهد الاغريق ، فالرومان ، الى اليوم هو انه على المتهم — بكسر التاء — ان يثبت التهمة . كل ما يريده الحزب هو ممارسة حق المواطن الذي يكفله كل دستور في الدول التي تسمى بحق انها دول ديمقراطية . نريد حق التبشير بالطرق الثقافية الاذاعية المشروعة . ولقد قاوم بممارستنا هذا الحق الرجعيون والافانيون . وهؤلاء يقاومون كل حركة اصلاحية . لقد اضطهدوا كل رسالة دعت الى الثورة على الضعف المتحجر ، سواء اكانت هذه الدعوة سماوية او سياسية او اجتماعية . استعد ذكرى المقاومة والانتقامات التي لقيتها الدعوة المسيحية والمحمدية والاضطهادات التي تعرض لها كل من دعا الى اصلاح . لذلك كان من الطبيعي ان يستعمل اعداء الاصلاح كل الاسلحة ضد الحزب القومي الاجتماعي . ولو ان مبدأ الاغتيال يقره الحزب لتدحرجت بعد استشهاد الزعيم ورفقائه الستة رؤوس كثيرة ، ولكننا نؤمن بممارسة الوسائل المشروعة . واعداء هذه الامة هم الذين يحرموننا بممارسة هذه الوسائل .

وسكت الشيخ سعيد قليلاً ثم استطرد قائلاً :

— وانهم ، وهم يملكون ادوات التنفيذ في الدولة ، يحاربوننا بالحرب ، وتسخير القوانين ، وبالاغتيالات ، وبالتشريد . ان الحالة السائدة في الجمهورية السورية تشبه ما كاب عليه العراق في سنوات 1932 — 1936 . واذكر ان هنالك جرائم كثيرة سبقت

مقتل العقيد المالكي . اذكر ان العقيد محمد ناصر ، وهو من المع ضباط الجيش اغتيل وعرف قاتلوه . لقد كان تدخل الجيش في السياسة . ان ادخال السيامية على الجيش السوري كارثة . والحزب الذي ضبطت سجلاته حيث كانت . واعتقل اعضاءه بعد ان توافقت شرطة الجيش لعصام الحايري انهم قادمون للقبض عليه . هذا الحزب اذاع منذ اللحظة الاولى ان لا علم له بالقتل ، ولكن تخطيط اعداء الامة ، من رجعيين ونفعيين ويهود وشيوعيين استهدف القضاء على هذه القوة المؤمنة المقاتلة وتوهم ان هذه المناسبة سانحة مثلي فراح بعض الضباط يبطشون ويفظهنون . انهم ما وجدوا ولن يجدوا برهاناً واحداً يثبت التهمة .

ثم تنهد وقال :

لقد اقبلوا اظافر رفقاءنا ولم يقتلوا منهم كلمة تدل على ان احداً له معرفة بالحادثة . اذكر ان اثبات التهمة يقع عبؤها على مطابقها . اذكر ان بونس عبد الرحيم بعد ان فاز بامتحان لدخول سلاح الطيران منعه ، وانه نجح ثلاث مرات بامتحانات ترقية وانهم حجبوا عنه الترقية ، وان عناصر كثيرة في الجيش متبرمة بكثير من قاداته . . لقد تعددت تأكيداتهم بانهم وجدوا وثائق تدل ، وفي كل مرة يعكسون موقفهم .

وتركنا الشيخ سعيد تقي الدين يستريح قليلاً على المقعد ثم عدنا نسأله بعد لحظات :

— يتهمون « الحزب » بانه « يقبض » من الدول الغربية لقاء مناهضة الشيوعية ، وبانه « يقبض » ايضاً من العراق ليؤيد الاحلاف؟

فهز برأسه ساخراً واجاب :

- وهذا بعض سلاح الاتهامات ، انه سؤال غير مشروع وغير وارد . حزبنا حزب بطولات ، والبطولات ما كانت تباع وتشري . ان اعداء الحزب ، اعداء الامة ، يطلقون ابداً هذه الاتهامات الخفيفة . غالباً لا نرد عليها . اذكر ان الزعيم سعادہ « ثبت » عليه انه متآمر مع اليهود . لقد نشرنا رأياً ظهر في جريدة « البناء » ضد الاحلاف ، واخذنا من مقتطفات منشور الحزب مقاطع اعدنا نشرها ولك ان تنشرها . لقد ناهضنا الحلف التركي العراقي لأنه لم يعط بلادنا كلها « الهلال الحبيب » الضمانات القومية التي نريدها ، اقرأ المنشور وهو فيما يزيد على الستين صفحة ، ودلنا اين قلنا اننا نوافق على الحلف التركي العراقي . ولكن اختراع التهم باب لا ينتهي ، ولذلك نحن في اكثر الاحيان لا نرد عليه . وقلنا له :

- اذاً من اين يأتي الحزب بالمال لتسديد نفقاته ، وهل صحيح ان اموالاً ومساعدات تصل اليكم من اعضاء الحزب في المهجر؟ . فاجاب :

- هذه المئة ليرة التي تراها جاءني بها بائع جرائد كانت قد اذخرها ليستأجر « واجهة » يعرض فيها الكتب . لا تنس ان الحزب هو حزب عطاء . وان عدده عشرات الالوف . وان لنا فروعاً عبر الحدود في فنزويلا والشاطىء الذهبي ، وليبيا ، والبرازيل ، والارجنتين ، واميركا الشمالية ، والمكسيك ، وبلدان اخرى .

وسألناه اذا كان لأرملة الزعيم سعادته نشاط عملي في الحزب ،
ام انها زعيمة روحية فقط ، فاجاب بجدة :

- ان حضرة الامينة الاولى لا تقارن اية مسؤولية في الحزب .
انها رفيقة الزعيم ، ليس لها صلاحيات دستورية ، او في المعنى
الشائع ليس لها « وظيفة » في الحزب . ان القوميين ، واشراف
المواطنين ، يجدون فيها رمزاً لهطولة المرأة في بلادنا . ان الذين
سجنوها لوثوا اقدس تقاليد امتنا . اسباب اعتقالها يعرفها من
ارتكب جريمة الاعتقال وجرائم التعذيب . حسبوا انهم يذلون
الحزب بالتجني على هذه الشخصية المقدسة . انه بطش الجبان .
وسألناه اخيراً :

- هل كان الحزب في سوريا يطمح في احداث انقلاب وتسلم
الحكم سواء الآن ام بعد سنوات . .

فاجاب وهو ينتقل الى مكتبه الذي تزينه صورة الزعيم سعادته :
- ان الانقلاب الذي نعمل له هو الانقلاب الخلاق في نفس
المواطن ، واستلام الحكم في الشام خلال السنوات الاخيرة كان
ابداً في مقدورنا لو ان غايتنا كانت استلام الحكم بالعنف . ان
حركتنا هي في جوهرها حركة ثقافية هادئة تكون نتيجتها وعياً
يسير الحكم نحو خير البلاد وقوتها . لم نستهدف ابداً ترجمة القوة
الى وظائف ولا منافع . ان عدد اعضاء الحزب وفعاليتهم واهميتهم
تفوق اية قوة سواها منفردة . نحن لم نشغل القوى المسلحة بالسياسة
او بالاغراض المحلية . ما اردنا إلا ان يكون رفاقنا في الجيش
جنوداً ممتازين .

حكاية دخولي الحزب السوري القومي الاجتماعي

اليوم بلغت من العمر الواحدة
واخمين ، واني اذ اتمهل فالقي خلفي
نظرة تستعرض الطريق التي مشيت ، اجد
ان نفسي لا تزال مترسخة في طفولتها
وقرويتها .

هذا المقال يسرد بطريقة مستعجلة ،
مشوشة ، حكاية دخولي الحزب السوري
القومي الاجتماعي .

وتبدأ القصة في طفولتي وقريتي « بعقلين » ، ونحن في بعد
ظهر كل يوم نجلس امام بيتنا على البوابة ، والناس عند العشية
يمرون بنا ، بالبوابة ، عائدین من الحقول يقفون ليدعوا الجالسين
الى مشاركتهم بما يحملون من عنب ومن تين . وان الجالس المراقب
يعرف من طريقة إلقاء السلام من الذين يمرون أكان المسلم
صديقاً او عدواً . فاما الصديق فيلقي التحية بحرارة ويردها
ويستفهم مراراً عن الصحة وعن افراد العائلة جميعاً .

واما العدو فيتمتع سلاماً مسرعاً ويمضي .
واني لا ازال اذكر من هؤلاء شخصاً طويل القامة عريض
الكتفين يحمل شمسية صفراء من « ستكروزا » فهو حين يمر بالبوابة
لا يتمتع السلام ولا يلقيه حاراً بل يصوب الشمسية نحونا حتى لا
نراه ولا يرانا .

ذلك كان عدونا الاول في « بعقلين » - محمود الطويل .
لا اذكر كم كان عمري اذ ذاك . ولكنني اذكر انني مررت
يوماً امام بيته فقال لي « هذه الطريق خصوصية يا بني » . . . واذكر
انني لم اعلم يومئذ ما معنى كلمة « خصوصية » واستفهمت ابي عنها .

نحن في اواخر سنة 1945 وقد ارتفع عنا في « الفيلبين » ستار
الحصار الذي شطرننا ، عن الدنيا خلال الحرب ثلاث سنوات
ونصف . واذا بالهويد يحمل إلي من نيويورك نبأ من قريبنا امين
أبو حمزة يقول فيه ان عمي الدكتور رشيد تقي الدين فوجيء
بشال وكان معدماً وان الدروز في الولايات المتحدة تعاونوا على
تطبيبه واعاشته وذكر اسماء المتبرعين والمبالغ التي دفعوها وكان
بين الاسماء اسم فرحان الطويل . واقترح امين ابو حمزة في رسالته
ان اوجه كتب شكر الى المتبرعين .

وايقظ اسم « الطويل » في مخيلتي الشمسية العدائية وكبر علي
ان اشكر عدواً على احسان فأثرت - ولم يكن من من اللياقة ان
ارد المال للمحسنين - ان استعيد كرامة العائلة بتبرع ضخم لجمعية
درزية ، ولسواها . واعتقد ان ما ارسلته الى نيويورك بلغ نحو

الثمانية آلاف دولار . وكان من السهل ان يفتدى هذا المبلغ
برسالة شكر .

يقولون لك ان الاحسان فيض من القلب . لقد ما هذا
صحيح ، ولقد كبير انه خيلاء ودعاية ، وفي هذه الحادثة اعتقد
انه كان نكاية

وعدت الى لبنان سنة 1948 ووجدت قريتي بعقلين تقريباً كما
تركتها منذ ثلاث وعشرين سنة . وكان في المعسكر المعادي حسن
الطويل بن محمود الطويل . ولكنه لم يكن في « المعسكر »
المعادي على الطريقة التقليدية بل قيل لي انه في شيء اسمه « الحزب »
وكنت بعد ذلك اسمع ضجة عن الحزب القومي . ولكنني لم
اكن اقرأ شيئاً من كتابات الزعيم سعادة او اقرأ عنه . وصحيح
القول اني لم اكن اقرأ في الصحف ، ما عدا الاخبار ، الا
المقالات التي اكتبها انا .

وفي مستهل سنة 1949 رشحت نفسي لرئاسة جمعية متخرجي
الجامعة الاميركية . وقيل لي يومئذ ان انطون سعادة اصدر
امراً بتأييدي عن غير معرفة ، وكان منافسي الاستاذ الياس المر
واخوه كان حينئذ وكيل رئيس الوزارة في يوم الانتخاب .
وتوجهت بعد الانتخاب اشكر ، في زيارة تقليدية ، رئيس الحزب
الذي ايدني ورد لي الزيارة في سهرة طويلة استمع بها الي ، ولم
استمع بها اليه . ولقد اخبروني بعد ذلك انه كان من عادته انه
يصغي ، ويصغي ، ويتلقف الكلمات قبل ان يدخل في نقاش .

واعدم سعادة سنة 1949 وتمكنت ان ألحه خلال دقائق في

قاعة المحكمة العسكرية ، في فتوة الاستراحة .

وفي اليوم الثاني كتبت مقالاً في عشرين سطر نشرت « كل شيء » مهمة ، او ان الرقابة حذفت ، ثلاثة سطور منه . عنوان المقال « الرضاة الثالثة عشر »

وفي صيف 1949 ألفت مسرحية ذات فصل واحد اسمها « المليون الضائع » ورحت اقرأ هذه الرواية على بعض اصدقائي الادباء واقرأها على نفسي . وكنت احس ان فيها نقصاً تلمسته فما التقطه فهي تعرض مشكلة ولا تحلها . وبقيت هذه الرواية بين يدي نحو من سنتين لا اجد لها الخاتمة الفنية الصالحة ولا ادري ان كانت هي في حقيقة الامر فصلاً او لا من مسرحية ذات ثلاثة فصول . الى ان جاءني يوماً رسالة من سجين وهو من اعضاء الحزب يقول لي فيها « قرأت مقدمة كتابك « غابة الكافور » وفيها تقول « ان اكبر همي في الحياة ان اقنع امي اني لم اعد طفلاً » . وزاد السجين معلماً « ليس من الصعب على المرء ان يقنع امه انه لم يعد طفلاً بل ان الصعوبة العظمى هي في ان يقنع امته انه صار رجلاً » وتوهمت حين قرأت هذه الرسالة ان خاتمة مسرحية « المليون الضائع » قد وجدت . وانني كذلك اهم بأن اجد حلاً يصلح خاتمة لمشكلة حياتي . وكان ان استحال عنوان المسرحية من « المليون الضائع » الى « المنبوذ » وكان ان استحال حياتي من جهود فردية مبعثرة الى نظامية نشاط في مؤسسة .

ولقد جرى ذلك بعد ان جاءني الاستاذ عبد الله قهرصي مصطحباً كتب الحزب يقول : « لقد درسنا كتاباتك كلها ولا حظنا سلوكك

فأكتشفنا انك منا وانه لا ينقصك الا ان تحلف اليمين وتطلع على العقيدة . وشوقني الى قراءة الكتب التي يصطحبها . قلت : « مالك وللمطبوعات ؟ تعال افهمني ما هي مبادئكم » . فلما شرحها صحت : « أهذا كل ما في الامر ؟ . لماذا لم تأتوا الي فور عودتي الى لبنان ؟ لا ارى في هذه المبادئ شيئاً جديداً . ولا شيئاً مغلوطاً . غير انني قبل ان انتظم اريد ان اثبت من امور ثلاثة : اولها ان الحزب لا يحاول هدم لبنان . فان الذي قال : « اذا قيل لبنان قل موطني الهى وصل له واسجد » هو عمي أخو ابي ، وقد افصح عن الكثير مما في نفسي نحو لبنان ، واما الأمر الثاني فهو ان لا يكون العنف من بعض اساليبكم وثالثها : ان لا أوامر بكتابه شيء او الكف عن كتابة شيء » فاجاب : فاما لبنان فهو بعض دمنا وهو بعض بلادنا واما العنف فهي تهمة من التهم التي تصوّب البناء . واما الكتابة فلك ان تكتب ما تشاء او ان تهمل كتابة ما تشاء . غيّر انني - كذا قال الاستاذ قبرصي - اتنبأ لك بثروة ادبية تجنيها من تفاعل العقيدة في نفسك .

ولما رفعت يدي باليمين كان حسن الطويل الشاهد الموقع اسمه على بطاقة الانتساب . ولقد شعرت اذ ذاك بسبب ما ترسب في نفسي من احقاد قروية ، بشيء من الذل . واخلال حسن الطويل احس بشيء من خيلاء الظفر . لعلنا كلانا اذ وقفنا البطاقة تراءت لنا الشمسية الصفراء .

هذه الطفولة ، هذه القروية - وفيها الكثير من الفضائل هي

التي في نقائصها ، تسوّر مواطني هذه الامة عن بعضهم بعضا وهذا
التحجر القروي او الطائفي او العائلي هو العقبة الكبرى في سبيل
انتشار الاحزاب التي تستحق شرف هذه التسمية

جورج عبد المسيح

هو انزي منع الاغنيبالاات

خبروني ، بعد ان دخلت الحزب السوري القومي الاجتماعي ،
بين ان ابقى عضواً سرياً او ان اعلن انضمامي . وتواعدنا على ان
نلتقي بعد اسبوع ، لأعطيتهم الجواب . وخلال هذا الاسبوع
جرت حادثتان قررتان ان اذيع امر دخولي ، فقد كنت اتناول
العشاء مع الاستاذ عبد الله قبحي في مقهى «ابو سليم» على الروشة
اذ مر بنا الامير فريد شهاب مدير الامن العام وسلمهم . وبعد ان
مشى خطوات دار نحونا وصوب نحو نظارتيه ومن خلفيهما
عينان تهرقان بالشك والذكاء . وصاح مبتسماً ، وسبابته حربة
تسكاد تترق من كفه : « او ... و ... عى » فشعرت اذ ذاك
بشيء من الحداغ اكتشفته لأول مرة في نفسي اذ اخفيت - هكذا
اعتقدت - ما كان يجب ان اجاهر به .

وخلال ذلك الاسبوع احسست كأنني في بيتي وبين عائلتي
وجمهور عشرائي واصدقائي ، كلهم للحزب عدو ، كأنني على كل

هؤلاء الاحباء طابور خامس . وكنا على ان نلتقي في بيت الأمين اديب قدوره في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وقبل الموعد حضرت مأدبة غداء في البريستول تكريماً للشاعر جورج صيدح وكان بين الحاضرين الاستاذ جميل مكاي ومعرفتي به اذ ذاك سطحية وحديثة . غير ان صديقي طارق اليافي كان قد اجتمع به مرات كثيرة في باريس وفي سويسرا . وكان طارق شديد الاعجاب بجميل مكاي مشيداً بجرأته ووطنيته وبالمواقف المثلى التي وقفها في الميادين القومية وباعمال دبلوماسية باهرة من اجل عرب المغرب . ودارت الأحاديث حول المائدة في مختلف المواضيع . وجاء ذكر الحزب القومي الاجتماعي فكالوا له الوزنات الموهودة من شتائم وسخرية واتهامات . ولقد تضايقت جداً في تلك المأدبة .

وبعد الغداء اذ كنا نتناول القهوة ، ولسبب لا ادريه ، انفردت بجميل مكاي وقلت له : « انت مسافر في غد الى سويسرا ، وستسمع بعد ايام انني دخلت الحزب السوري القومي الاجتماعي ما رأيك ؟ » ولم يكن جواب الاستاذ مكاي محقراً ولا مسيئاً للحزب بل اني اذكر انه اثنى على مبادئه وتمنى لي النجاح . وكان مكنتي التجاري يومئذ على محطة الداعوق ، وخرجت منه حوالى الساعة الثالثة والنصف قاصداً الى بيت اديب قدوره . وفي ما انا انتظر تكسي لم اشعر الا واوتومبيل « كوبيه » يقف وصوت صديق يدعوني الى الجلوس معه فدرونا على البولفار متمهلين متنزهين وحين وصلنا الى قرب بيت اديب قدوره شكرت صاحب السيارة الذي اوصلني ، وكان الشيخ بيار الجميل .

ذكرني في مستقبل الايام ان اروي لك . وقد جئنا على ذكر الامير فريد شهاب - قصة المأدبة التي كدت ان ادعو اليها في ايار سنة 1949 ثم لم افعل . ذكرني ان اروي لك هذه القصة وكيف كانت مكتبتنا الهندسي ، يقوم بعملية ترميم قصر الامير فريد شهاب في الحدث .

شعرت بعد دخولي الحزب في الشهور الاولى بخيبة كبرى .
اين الدهاليز والاسرار ؟ اين القسائم السوداء ؟ اين الطلام ؟ اين
العقريات ؟

أهؤلاء الذين اجتمع بهم هم قادة الامة واصحاب الكفاءات
والمؤهلون للنهوض بهذه البلاد والسير بها الى قمم الحضارة والقوة ؟
لقد كثرت التقولات عن اسباب دخولي الحزب القومي
الاجتماعي . فالدكتور عمر طوقان مثلاً يجزم انني ما انضمت الى
الحزب الا لكي اتخذ حجة لنشر ذلك البيان - عفواً يا قارئ ،
البيان الشهير - وهناك عبقرى اكاد ان حافزي هو تحقيق امنية
حياتي الكبرى بان اصبح رئيس بلدية « بعقلين » .

بلى كانت الخيبة هي اولى اختباراتي في الحزب . وكان من
اهم اسباب الخيبة ذلك الكره الشديد الذي في نفسي عند لقائي
الاول لجورج عبد المسيح فان مظاهره الجسدية وصوته الأبح
وتلك الفذائف الكلامية التي قصف بها اذني وهي خليط من فلسفة
ومواعظ وذكريات وتقرير عن تهامل في الميدان الوطني وتلك
الغرفة المعتمدة اظلمتها السجف على شباكيتها ، وعتمها بابان مقفلان ،
كل ذلك هدم في نفسي شيئاً فشعرت انني قد تركت البولفار

الجميل الذي كنت اتنزه عليه ودخلت اكمة كلها اشواك وحلك .
ولم تسعفني وما اعادت الطمانينة الى نفسي ، حملة صحفية استهدفتني
وما هو بالشيء الهين ان تكتشف الجفاء والبعد حتى والمداء فيمن
احببت وعاشرت طوال حياتك .

عدم المواقفة ، فاتني ان اخبرك ان الشاعر عمر ابو ريشة
والصديق نقولا خير كانا من القلائل الذين استشرت قبل
دخولي الحزب .

لم يطل الامر حتى نشأت بيني وبين جورج عبد المسيح ، عدا
العلاقة الحزبية ، اخوة ، لا اعلم ، وانا منذ طفولتي كثير الاصدقاء ،
ان بيني وبين سواه مثلها . فهو لي جد واب ، واخ ، وعم ، وابن
وحفيد ، واعتقد انني افهمه اكثر من سواي لانني مثله ، برغم
السنين وتنوع التجارب ، لا ازال قرويا .

جورج عبد المسيح ما هو بالشخص الذي شاع عنه . ان الصورة
الراسخة في ذهن الشعب ان هذا الرجل بطاش يسكر بالدماء .
ولقد وجدته بعد ان عاشرتة وعاملته على كل السويات الشخصية
والحزبية انه طفل له جسد جبار وعقله . وله ثقافة الجبارة . ولا
اعلم في الالوف الذين عاشرت من الناس ان في احدهم من يبرزه
مناقبية ورفعة اخلاق . ولا اعلم ان في الدنيا من يمكن ان يتجاوزه
في الانصراف لخدمة بلاده واعطاء كل ما في نفسه من مقدرة عطاء .

يقولون ان جورج عبد المسيح يوحى بالاغتيالات . نخذها
مني ان الذي منع الاغتيالات هو جورج عبد المسيح . ويقولون
انه شرس يأمر بالهدم . ان الشراسة في جورج عبد المسيح تطفو

في بعض احاديثه ، ولكني لا اعلم من كان ، سواء ، يقدر ان يضبط هذه القوة الناقمة الثائرة التي قتل زعيمها وستة من اعضائها واضطهد وشرد الوفها . من كان يقدر ان يضبطها لولم تمسك باعنتها يدان قويتان هما بدا جورج عبد المسيح . لقد اتهمه البعض من القوميين الاجتماعيين بالجن وبالبخاذل وبالخيرة بعد كارثة 1949 لأنه لم يرد عليها فوراً وبعنف . ولقد سمعته مرات لا اعداد لها يعظ بالفتيان الذي كانوا يأتونه يومياً متطوعين لاعمال العنف قائلًا لهم ان الانتقام حقارة واننا لن نثار لسعاده الا بانتصار مبادئه . ولو لم يكن لجورج عبد المسيح ماضٍ في القتال وشهرة في البأس لما احترم مواعظه المتهوسون من اعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي اذ كر ان آخر من يطلب القتال هو الجندي . وجورج عبد المسيح تخرج في الميادين ويحمل في جسده جرحين اثنين احدهما في فلسطين والثاني ناله في لبنان .

ومن الشخصيات الحزبية التي تعرفت اليها المقدم غسان جديد . اجتمعنا لأول مرة بعد ان سرحوه من الجيش . وستثبت الايام ان هذا الرجل له كفاءات تؤهله لأن يكون من قادة العالم العربي . .

انه صقيل الثقافة عميقها ، يتكلم الفرنسية كأحد ابناءها ، ويتكلم الانكليزية بلكنة وتوقف ، شأن المثقفين الذين تعلموا لغة على كبر . وهو كاتب يجيد الكتابة في المواضيع العسكرية والفنية . عاش في اميركا نحواً من اربع سنوات ملحقاً عسكرياً في الوفد السوري

الى منظمة الامم . وكان الثقة الذي استشارته الوفود العربية في كل ما يختص بقضايانا مع اليهود ، لأنه كذلك ترأس اللجنة السورية لأعمال الهدنة وقد نال تهانيء عديدة من الجيش السوري لأعماله في هذا الميدان . اما شأنه كجندي في القتال فلقد بدأت شهرته سنة 1947 اذ تسلسل بمئة وعشرين جندياً تحفوا في البسة الجيش الاردني وهاجموا مخيماً بريطانياً في حيفا .

قيدها امامك : من قادة العالم العربي غداً المقدم غسان جديد .

كل كاتب يقنص الافكار والالفاظ حيث يجدها . « منلتقي » عنوان مقال ظهر لي اخيراً اقتبسيتها لفظة كتبت على صورة ارسالها جورج عبد المسيح الى الرفيق مشهور دندش . كذلك عنه اخذت « اكثر المنهزمين يهربون وهم قاعدون » ، اما عنوان « اخ . . . تفه . . » فقد اقتبسته عن الرئيس فضل الله ابو منصور وكان ذلك بعد ان ترك الشيشكلي البلاد السورية . فضل الله ابو منصور من ابطال الانقلابات ومن ابطال الجيش السوري وقد فصله الشيشكلي عن الجيش . في اواخر ايام « اديب » شخص عصام الحايري الى حمص حيث كان غسان جديد آمر لوائها ، وموقف غسان جديد هو الذي قرر انهيار عهد الشيشكلي . لا تنس ان تذكرني لا قص لك حكاية مؤتمر حمص . عسى « كل شيء » لا يفوتها ان تعلمبمني مقالاً موضوعه : « قوة الحزب واخطاؤه » ، على كل حال توجه فضل الله ابو منصور بفارز من لواء غسان جديد ورابط خارج دمشق على ان يهاجمها ان لم يعتزل الشيشكلي الحكم . فضل الله

ابو منصور ابن جبل حوران - جبل الدروز . كان في الخامسة عشرة من عمره حين استهوته البة الجيش الفرنسي واسلمته وخيوله فجاء الى قائد الموقع الفرنسي وقال له اريد ان اتطوع في الجيش . اجابه القائد : ارجع الى بيتك يا غلام وكل كثيراً من البرغل ثم ارجع إلي بعد سنتين . كل ما في حوران حبيب الى قلب فضل الله ابو منصور . انه يتحدث عن سلطات الاطرش ككاهن يجي على ذكر قدس . بعد حوادث الشيشكلي ومذبحة جبل الدروز والدور البطولي المشرف الذي وقفه الحزب جاءني الى بيروت في صباح باكر فضل الله ابو منصور . ناولته جريدة اسبوعية كانت بين يدي فقرأ فيها البرقية المزورة وقرأ فيها اننا جو اسيس الشيشكلي . رمى فضل الله ابو منصور الجريدة من يده وصاح : « اخ .. تفه » قيل لي ، وفضل الله ابو منصور لا يزال في البلاد السورية ، انه قرأ انه مؤخراً قرأ الجريدة الاسبوعية وصاح ثانية : « اخ .. تفه .. »

ولا يعرف اهمية الانضباط الحزبي والمعجزة التي حققتها الحركة القومية الاجتماعية الا الذي تعرف الى بطولات فضل الله ابو منصور وكيف اکتنزت الاجيال البطولة في دمه فجاء الحزب فروضها فاذا بابن حوران كأني قومي اجتماعي آخر يقبل الامر ويطيعه .. هنا اتمهل بكثير من الخشوع لاتحدث عن زوجة الشهيد ورفيقته التي سجنوها .

سنة 1948 كنت في سجن مع سعد الدين الجارودي وكامل حماده في مانيلا . ودخل ذلك السجن الرهيب مواطنون لنا منهم

فؤاد جريديني وعبدالله معصب . حتى ذلك التاريخ كانت الدنيا
تحسب ان البشر لم ينتجوا ضواري اشرس واطلم وأحط من بعض
اليابانيين . ولكن هؤلاء اليابانيين انفسهم ، وقد سجنوا سعد الدين
الجارودي وفؤاد جريديني وعبدالله معصب ، وسجنوني ، كانوا
ينتهوننا « شرف الفروسية » اذ انهم تعلموا في مدارسهم ان بلادنا
اشتهرت بالفروسية وبذلك الاحترام يوجه للنساء .

يا خجل ضواري اليابانيين ويا خجلنا امام الدنيا اذ سيجل انزال
من شعبنا احقر جريمة عرفها تاريخنا ، اذ شدوا بشعر زوجة الشهيد
امام طفلات انطون سعاده وشتموها .

تعددت اجتماعاتي بحضرة الامينة الاولى فهي رفيقة كل قومي
اجتماعي وهي امه وهي اخته . كان كل همي حين اتحدث اليها ان
افجر تلك الدموع الحبيسة التي وقفت خلف عينيها . كنت اخال
انني اعده ظفراً ان انجح بتفجير خزان الآلام فتنهمر بكاء . كنت
اتمنى ان اذكرها بالزعيم وحوادثه وحياته رجاء ان تموع فتبكي ،
ولكنها لم تفعل . كلما اتمناه اليوم ان تضعف الامينة الاولى فتبكي
ولو مرة واحدة ولكني اخالها لن تفعل .

ما معنى لفظة « الامين » او « الامينة » ؟ انه لقب يعطي
لاي قومي اجتماعي بعد ان يمر عليه سنوات خمس في الحزب يظهر
خلالها في الانتاج شيئاً من التفوق . ليس للامين اية مسئولية كانت
الا ان له الحق ان يساهم في انتخاب المجلس الاعلى . وفيما عدا ذلك ،
ان هو لم يتسلم مسئولية ما ، فشأنه وشأن اي قومي اجتماعي آخر
سواء . والامينة الاولى بحكم امومتها وشهادة الزعيم ، ما اشتركت

في المسؤوليات ولا تسلمتها ولا طلبتها وهي بعيدة - في اكثر الاحيان - عن نشاط الحزب .

توهمت فور دخولي الحزب انني في غابة مظلمة - ذلك لان عيني بهرهما مزيف الشعاع في ذلك الصالون الذي كنت اعيش فيه . واليوم ارى الاشياء في العتمة كما هي لان عيني استعادتا النظرة الطبيعية الصحيحة للاشياء .

البداية التي توقع الصلح

مع اسرائيل .. تقطع من العنق

.. وحين شاع امر دخولي الحزب سرت اشاعة انني اصبحت زعيمه « خليفة سعادته » . ذلك لأن الاكثريين يجهلون ان ما يضبط الحزب هو دستور ، والذي يسيره هو شيء فوق الدستور ، شيء غير مكتوب - ارادة القوميين الاجتماعيين - وهي لا تفرض عليهم بل هي شيء يكتسب بالولاء والالتزام الحزبي .

ذكرت امر « زعامتي » للحزب بعد شهر من انضمامي للحركة اذ كنت اقرأ في النظام الجديد ، منتظراً اذنًا بالدخول على احد المسؤولين . اذكر انني قرأت نحواً من 82 صفحة فيما كان المسؤول منشغلاً عني وانا خارج الباب ، والناس اذ ذاك يتحدثون بانني « زعيم » الحزب ... وبقيت من غير مسؤولية « وظيفة » حتى في الانتخابات النيابية عام 1953 اذ كانت بعضهم يفاوضني بتأييد الحزب له - لم يعرف الاكثرون ان كل شيء حينذاك كان تدبير سيارات للدكتور عبد الله سعادته مرشحنا في الكورة . هنا يشور

سؤال : لمن الرأي في الحزب ؟

فالناس يتوهمون ان امرأ يصدره شخص فيطاع . هذا صحيح وغير صحيح . فالأمر يصدره شخص ، وفي أكثر الاحيان تصدره هيئة مسؤولة . ولكنني لا اعرف خلال ما يقرب من سنوات خمس ان امرأ صدر إلا بعد دراسة وتشاور وتقارير ، وكان أكثر ما يوحى هذه الاوامر الرأي العام بين القوميين الاجتماعيين . لذلك كثيراً ما اضحك حين اسمع ، وبالاخص في ايام الانتخابات ، ان المرشح الفلاني صرح بانه صديق لفلان من « اركان » الحزب ، وانه يستطيع ان يستصدر امرأ برفقة عين وينتهي الامر

لمن الرأي في الحزب ؟ لمن الشأن ؟ .

الدستور حدد الصلاحيات والمسؤوليات . ولكن الرأي هو للرأي . ان هنالك قرارات هامة أوحى بها اقتراح من عضو في مديرية « القاموت » مثلاً قرب طرابلس . والشأن في الحزب - بقطع النظر عن المسؤولية - هو الذي يكسب بالقدوة وبالعمل وبالولاء احترام الاعضاء . وهذا الاحترام لا يقترع عليه بل هو شيء تلمسه وتحس به . لا اعلم اناساً أشد قساوة من القوميين الاجتماعيين على رفقاءهم ، انهم يحاسبون بعضهم على كل كلمة يقرأونها او يسمعونها . وعلى كل عمل . وفي المدى البعيد هذا وحده ما يقرر شأن القومي الاجتماعي في حزبه .

واخيراً تسلمت مسؤولية تنفيذية بيروت . وموّل هذه التنفيذية ، فور نشوئها ، من باع بعض حاجيات في بيته ضرورية

حتى ركز امورها المالية . وبعد شهرين تولد موقف في احد الليالي اوجب ما يسمى « حالة تنبه » . وجلست لأكتب الامر الاول الذي اخطه . فبدأت الرسالة : « حضرة الرفيق فلان . . ارجو ان تأتوا الى بيروت . » وكانت الى جانبي مرشد من القدامى في الحزب ، فتناول الورقة مني وكتب سواها هكذا : « حضرة الرفيق فلان . . تبلغوا وبلغوا ان عليكم . . »

وبعد اربعين دقيقة اقبل الرفيق ليلقي التحية ويتلقى التعليمات . طفنا في تلك الليلة على المديرية مرتين ، الاولى لنتفقد القوى ، والثانية لنذيع انتهاء حالة التنبه

« تبلغوا وبلغوا . . »

كلمتان حفرتا في عقلي وقلبي شيئاً لا يمحي . هذا الحزب الذي لا يعد اعضاء الا بالتضحية والحرمان ، اي شيء فيه يوحى الطاعة ؟ . « تبلغوا وبلغوا . . »

وفي اجتماع احدي المديرية انتصب امامي احد مشهوري الرياضيين في هذه البلدة . ورحلت اعنفه بقساوة عن تقصير وهو - كما يجب ان يكون - ساكت . وفي ذروة فصاحتي لمع في ذهني هذا التساؤل : اي سلطة لي على هذا الرجل ؟ من الواضح ان في عضلاته قوة لو شادت لومتني من النافذة . وفيجأة اخبرستني دمة . في هذا الحزب شيء كبير ضخم لا تقرأه في منشوراته . يجب ان تحياه حتى تفهمه .

غير ان حياة المسؤول في الحزب ما هي كلها اوامر يصدرها . جاءني يوماً احد الاعضاء برسالة في مغلف مقفل موجهة الى عميد

في الحزب . سألته ما في الرسالة حتى أقفلها عني . اجاب العضو
« هذا سؤال ليس من حقك ان تسأله . فالدستور كفل لي حق
الاتصال بمن هو فوقك بالمسؤولية . اما وقد طرحت هذا السؤال
فيخذ علماً ان في هذا المغلف شكوى عليك » .
وبالطبع فقد وصلت الرسالة الى المرجع المختص وكانت من
رفيق مهنته الخلاقة .

ومرة ثانية جاءني غيره برسالة مقفلة الى الرئيس ، وغلب علي
الفضول فطرحت السؤال فاجابني العضو « هذه امور هامة اجد
انها اكبر من ان يعالجها منفذ في الحزب فوجهت الامر الى
حضرة الرئيس » .

دستور الحزب كفل حق العضو فيما هو حتم عليه بممارسة الواجب .
بين الاوراق الذي صادرها الجيش السوري في دمشق شكوى
ودعاوي حزبية لا عد لها . اذكر ان الحزب طرد احد اعضائه
فور خروجه من السجن حين ثبت سلوكه الشائن بين جدران
السجن . اذكر ان احد القوميين تقدم بدعوى ضدي لاني سمحت
لأبى رزق - « عدو الحزب » بتعهد « نادي المتخرجين » بدلاً
من ان الزم النادي لاحد القوميين .

وبعد ان اصبحت « منفذ بيروت » اتصل بي احد الاجانب
يريد بحث امر سياسي . فاستمهلته وتلفنت المسؤول فجاء الجواب
« باحثه علناً في ساحة البرج ، او سرّاً في قاع البحر »
وتعددت بعد ذلك خلال ما يقرب من سنتين اجتماعاتنا باجانب سياسيين
وثقافيين وتجار . بعضهم يتستر بمهن ولكنهم في حقيقة الامر رجال

استخبارات . وهم ينتمون الى دول مختلفة . وكانت كل اجتماعاتنا
تنتهي بعراك فتقطع ثم تتجدد .

ماذا كانت هذه الابحاث تتناول ؟

كانوا يعظون بأن الشيوعية تهدد العالم - وبالتالي بلادنا -
بالافناء . وكان الجواب ان الحزب ادرك هذا الخطر منذ نشأته
وحارب الشيوعية حرباً غير متقطعة وكافحها في فترات كان
الغربيون خلالها يتساقون كؤوس الشمبانيا مع سادة الكرملين .
كانوا يطلبون معلومات عن الشيوعية وكنا نجيبهم نحن سادة البلاد
وانتم الاغراب . فإن شئتم مكافحة الشيوعية فزودونا انتم بما عندكم
من معلومات عالمية . فاستخباراتنا هي لمعلوماتنا نحن والشيوعيين
هم مواطنون لنا وان كانوا مواطنين مرضي ، ولا نسمح لغريب
ان يتجسس عليهم . وكانوا يسألون ماذا تريدون ؟ وكان الجواب
ان ينقطعوا عن التدخل في شؤون بلادنا وان يحققوا هذا الحلف
الشري القائم بينهم وبين الضعفاء والفاستدين من حكامنا ومتنفذينا .
وكانوا - اكثر ما كانوا يبحثون - بصلح مع « اسرائيل » وبتعايش
سلمي معها وانهم اذ ذاك يفرقون بلادنا بالاعانات والاموال وكان
الجواب « ان اليد التي توقع الصلح مع اسرائيل نقطعها من العنق »

امام الخزب سبع سنوات

لمنظر اء بمنلاشى

حين رجعت الى بيروت في نيسان 1948 كان بين الاحلام التي حققتهما الحياة اجتماعي برفيق في الدراسة كان ولا يزال من احب الناس الي . وكنت كأني مغترب عائد هداً لنصائح يتطوع باسداً كل زائر . غير ان هذا الصديق كانت لكلماته نبوة الود الاصيل وفيها اختبارات الحياة ، قال لي : « البلاد ليست كما تركتها ، وانت عائد من جهنم حرب ، اسمع مني وتعال نقضي سائر الحياة مفتشين عن احسن مقهى وافخم مطعم واطيب اركيلة واجمل امرأة . تعال نضرب هذه الدنيا بصرمة » اجبت : « ان فعلنا كل ذلك الا تكون الدنيا قد ضربتنا بصرمة ؟ »

هذا الصديق اجتمع اليه مرات متقطعة نعيش خلالها في واحة من الود الطاهر والأخوة الصاعدة . غير اني في الشهرين الاخيرين لم اجتمع اليه . وقد تلفن إلي مساء يقول انه قادم لزيارتي فسألته ألا يفعل اذ انه في تلك الليلة وفي الليلة التي سبقتها حدثت حول

بيتي حوادث عدة منها القبض على جاسوس المكتب الثاني كان يراقب بيتي . ومنها ان « جيب » وفيه بعض رجال المكتب الثاني كان يدور حول بيتي ويقف بالقرب منه ، فيستفهم السائق عن محلات الآ. ب. ث. مثلاً ، ومن هذه الحوادث ان بعض قوى الامن طاردت شيوعيين كانوا تحت اشراف الاستاذ حسيب ثم مرابطين حول بيتي . وتأني انباء المذبذبين في دمشق فاذا بالبرابرة يسألون الكثير عن سعيد تقي الدين وعن بيته والتحصينات التي فيه والحرس المرابط حوله وعن المختبئين في البيت .

امائل نفسي ما الذي فعلت حتى استحق كل هذا التكريم ؟ ولا استعمل لفظة « التكريم » بروح العبث او السخرية او الدعابة . لقد اجتمعت مؤخراً بمسئول كبير في هذه الدولة فقال لي في معرض النصح : « كل الناس اصدقاؤك ، كلهم يودونك ويحترمونك لماذا لا تنسحب من الحزب السوري القومي الاجتماعي فتراجع صديقا للجميع ؟ ان انسحبت انت من الحزب فما الذي يبقى فيه ؟ » هذا السؤال هو الذي كان يعذبني كثيراً فاني كثيراً ما احاسب نفسي ان كتاباتي ضخمت شأني في الحزب السوري القومي الاجتماعي . وان مساهماتي لا تستحق هذا التكريم لا من الرفقاء ولا من الاعداء الحزب هو يوسف قائد بيه وخليل الطويل خلف قضبان السجن . الحزب هو ناظر التدريب في منفذية النبي عثمان يتوكبستانه وينطلق في جرود بعلمك مبشراً . الحزب هو خالده صالح الفتاة الادبية تتطوع للمخاطر . الحزب هو « ادونيس » الشاعر تنالوى نفسه من الظلمات . الحزب هو الف « جميل عربان » يتطوع بمهمة

تنتهي به للتهديب او للموت . اما الذين تضج بهم الصحف فهم اقل
من في الحزب اهمية . لو ان هذا الحزب كان كتابة وخطابة
وفصاحة وبياناً لكان انتهى امره من زمن بعيد . اذن وقوة
الحزب هي غير منظورة وغير ملحوظة وغير ضجاجة فما هي بعض
مواطن الضعف فيه ؟ . في اللغة الفرنجية لفظة : « Atavism » لا
ادري ان كانوا قد نقلوها الى العربية بلفظة تؤدي المعنى ، لعل
اقرب الاصلاحات لترجمتها هي : « الردة الوراثية » وهي التي
تظهر بالوليد مزايا من جسمية ونفسية ترجع الى جد بعيد بعيد . في
صفوف الحزب القومي الاجتماعي بين اعضائه تظهر هذه الردة ،
هذه الـ « Atavism » في كثير من الحالات لان الحركة القومية
الاجتماعية نهضة تربوية تثقف المواطن بما كان يجب على المدرسة وعلى
البيت وعلى الابوين ان يثقفوه بها . فهذه التربية وقد جاءت اعضاء
الحزب على « كبر » وابتنت على غير اساس متين بنته العائلة او
المدرسة ، هي ابدأ معرضة لردات في النفس الى مفسد وضعف
سيطر على هذه النفس قبل اعتناقها القومية الاجتماعية . في صفوف
الحزب وبين اعضاء معينين كثير من الوشوشة والثرثرة ، من تحليل
لحوادث 1949 اجد ان اكثر الحيات التي سرى امرها بين الناس
هي غير صحيحة سببها الوشوشة والثرثرة . لقد كان في الحزب
خونة ولكن عددهم كان اقل بكثير مما ينتظر في مؤسسة كذا
عدد اعضائها . للحزب شهرة بالنظامية . ولكنني اعتقد ان الايمان
في الاعضاء هو اشد من نظاميتهم هو هتفة في النفس لا نحتاج الى
ترويض ، والنظام هو تدريب اكثر منه عاطفة . منذ اسبوعين دخل

علي في البيت احد الاعضاء وتاريخه الحزبي ناصع مشرق فوجدني ،
كما يجدني كل زوار بيتي في الصيف ، مرتدياً القميص والكاسوت
فاغتاز وظن ان استقبالي له في هذه الحالة تحقير له . ذلك لأن هذا
الرفيق نشأ كما نشأنا جميعاً على ان اظهار بعض اجزاء الجسد هو
« عيب » لذلك نحن نقول : « رجلي ، انت اكبر قدر » ونحن لو
فقهنا لعرفنا ان القدم ، كالاذن والقلب والعين ، لا تستحق التحقير .
فبعض مواطن الضعف في الحركة القومية الاجتماعية هي هذه
الردة الى خلايا في النفس ، محتها هذه النهضة او خلايا في النفس تبعث
في النفس بعض او كل ما نشرته في النفس القومية الاجتماعية من
فضائل . كانوا في ما مضى يغنون : « نعبد في الدنيا ربين - الله وانطون
سعاده » ذلك لان المقبلين على حركة ارادت ان تحررهم من عبودية
شخص ثارت فيها الردة فارادت ان تعبد شخصاً آخر . هذه الاغنية
بحث المسئولون في الانقطاع عنها بامر حزبي ولكن هذه الاغنية خرسست
الى الابد بفضل التربية التي فعلت في نفوس القوميين ومن غير أمر
هذه الردة ستظهر في المحاكمات التي ستجري في دمشق . فان
اكثر القوميين اظهروا جرأة وشجاعة وبطولة ولكننا نترقب ان
يكون بينهم في يوم المحاكمات من تشور في نفسه الردة - خلايا
الضعف والفساد - التي خدرتها النهضة . بين الامين معروف صعب
وبين رئيس الحزب عداء اسبابه كثيرة منها ان جورج عبد المسيح
قوي الجسد قوي الروح مقاتل . ومنها ان جورج عبد المسيح
شديد القساوة في مقاييسه الحزبية ، ومنها ذلك الطبع الانساني
الذي يبغي التفوق خصوصاً حين يتضح قوة جسدية . بسبب كل هذا

كان الامين معروف صعب قيد المحاكمة الحزبية وكانت عداؤه
لرئيس الحزب جورج عبد المسيح سافراً ولن يكون متحجباً في
يوم المحاكمة .

يقول بعض علماء الاجتماع ان كل نهضة لا تنتصر في الثلاثين
سنة الاولى من حياتها تفنى وتلاشى . والنهضة القومية الاجتماعية
عمرها ثلاثة وعشرون سنة . الملاحظات الاجتماعية ليست لها دقة
العلم . على اننا لو سلمنا بهذه النظرية فأمام الحزب السوري القومي
الاجتماعي سبع سنوات ليحقق في النصر او يتلاشى ؛ ورغم كل
مواطن الضعف التي اوردناها وبرغم الردة التي شرحناها ففي يقيني
ان هذه السنوات السبع المقبلة ستسجل النصر . واكبر الظن ان
لن يأتي في سبع سنوات بل في سبعة شهور ، وانني امتمر في
نشاطي لان خلايا نفسي لن تخضع للردة ، فلن افتش عن اطياب
اركيمة وافنهم مطعم واجمل امرأة ! .

مواطن الضعف في الحزب القومي

أنهمل هنيهة طويلة قبل ان أسطر هذا المقال .

ما الضعف ؟ ما القوة ؟

هل هناك جوهر مجرد اسمه ضعف - او كله ضعف - او

قوة ؟

أم تحمل القوة في نفسها عناصر الضعف ، والعكس بالعكس ؟

الحزب ، مرهق فقير . ودعاوته تتحدى ما يبدو مستحيلاً .

وتعابيره الحزبية للوهلة الاولى غريبة ، وفي اكثر الاحيان مزعجة

صافعة .

أفي ذلك ضعف أم قوة ، أم كلاهما مجتمعان ؟

لك ان تجيب على هذه الاسئلة على لسان بشار بن برد :

« خرجت بالصمت عن لا ونعم » .

أستطيع هذه الحركة ان تنجح وليس في صندوقها قرش ؟

وهذا البراز المستمر اذ تقول لمن نشأ وانتشى على انه درزي ،

او ماروني او شيعي او سني : « انت سوري » ، واذ تقول لهذا

الجيل الطالع في لبنان « انت سوري من لبنان » ولا بن العراق

الذي ما عرف إلا انه عراقي او عربي ، كيف لهذه الحركة ان تقنعه انه سوري ، هذا مستحيل . ولماذا كل هذه الكركبة ؟ هنالك اساليب سهلة فلماذا لم يتبعها سماده ؟ وهذه الـ «تحياسورية» لماذا ؟ مرعبا ، وبونجور ، صباح الخير ، ونهارك سعيد ، كلها أخف على السمع واقرب الى القلب .

أما المال فليس اكثر تقديراً له من الذي هو في حاجة اليه . وفي حياتي الحزبية لم تمر بي ايام شعرت فيها بحاجة الحزب للمال وبسهولة تناوله من فترة انتخابات المئتين الاخيرة التي عقيت وفاة الاستاذ اميل لحود . كانت المرشحون ثلاثة : سليم لحود ، خليل أبو جوده ، شاهين شاهين . والثلاثة اغراب عن الحزب ولا اعتقد ان انتخاب اي واحد منهم يغير في مجرى تاريخ بلادنا . وكلهم انفق على الانتخابات . وكلهم كان في شوق حار لتأييدنا له . وبدلاً من ان نؤيد احدهم هرعنا الى حبيب عقل - بعد ان تخلى عنه حزبه - وحملناه ان يرشح نفسه ، ولحد ما تكبدنا بعض مصاريف . لماذا ؟

ما السبب الذي قرر هذه الخطوة ؟ هذا هو السؤال . ما الذي يجعل القومي الاجتماعي ولياً لحزبه مقاتلاً من اجله ؟ أمليون ليرا مخبأة في مصرف ، أم تحرق لتحقيق غاية يناضل فيها هو يناضل ، من اجلها ، العوز وصعوبة اسباب العيش ؟ في تاريخ الاحزاب حركات نجحت حين وجدت من يؤيدها ، وحرركات نجحت وهي ضامرة الحصر . المال يختصر الطريق ، والمال اذ يشيع الرخاوة يقعد بالسائر عن السير في الطريق .

الثورة السورية 1925 - 1927 تلاشت حين تدفقت عليها
اموال المفتربين . ودولة « اسرائيل » ما كانت لتنشأ لو ان احد
المسؤولين في دولة عربية وقع شكاً بمئة الف جنيه ثمن مخيم عتاد
عربية جاء ثلاثة ضباط بريطانيون الى « سان جورج » لبيعه .
هو نفس المخيم الذي مشى اليه المقدم غسان جديد على رأس قوة
من مئة وعشرين مقاتل ، عبر المستعمرات اليهودية ، ونال بسبب
هذه البطولة أرفع وسام يمنحه الجيش السوري . ولا يتزين بهذا
الوسام الا اثنان احدهما غسان جديد .

المال يقوي والمال يضعف . « خرجت بالصمت عن لا ونعم »
عقيدة سعادته تؤمن بالمادة وبالروح . كلاهما واحد . هذه هي
على ما افهم ، المدرجة .

والمال - عدم وجوده - هو الذي هدم بالحزب منذ نشأته .
سعادته كان يركب الترامواي بصحبة من كان يدفع عنه .
من الارجنتين كان يكتب لتلميذ في الولايات المتحدة
اسمه غسان تويني يستعجل تبوع الرفقاء بخمسمائة دولار .
وبعد ثلاثة وعشرين سنة وتلامذة سعادته ، وفيهم اليوم الثري
والموسر ، لا يزال المال - عدم وجوده - يؤخر في سير الحركة ،
او يدفع بها الى الامام .

ولكن الاشتراكات والتبرعات - خصوصاً في الازمات -
تستمر سبيلاً شحيحاً او متدفقاً . والخدمات المجانية التي يتطوع لها
الرفقاء خلال السنة لا تشتريها الملايين . كثيراً ما نفاخر ان الحزب
فقير . بعضنا لا يجد في الفقر مدعاة المفاخرة .

اما الدعاوة فالضعف فيها - او القوة - مردها الى امرين :
هذه الحدة والقساوة ، وكنت اقول الشراسة في كلام بعضنا او
كتاباتهم . كثيراً ما ابعدت عنا الناس ، اذكر في سنة 1950
كنت في جريدة «النهار» اذ وثب إلي - خلت انه واثب الى
عنقي - فتى من خلف جهاز الراديو وراح يقصفني بكلمات «الزعم ..
الزعيم ... سوريا ... امة تامة .. الخصوصيات المرتكزات ..
المعطيات .. ان فيكم قوة ..» واستمر هذا القصف اكثر من
ساعة . لا اذكر من تلك المباحثة إلا ان نظارتين كانتا ترتجفان
امام عيني وساعدين يدوران في الجو كدولاب الناعورة . واخيراً
سألت الفتى اسم حضرتك ؟ اجاب : « انا القومي الاجتماعي جبران
حايك » . من المؤكد ان لهجة جبران المدوانية ابعدتني عن الحزب .
ما سبب هذا ؟ وهل هو ضعف ام قوة ؟

السبب هو ان الواحد متى تجند في الحزب اصبح يحس حدة
مشكلات بلاده ، فالحدة في نفسه ، فهو ناغم على كل مواطن بحسب
نفسه سائحاً في بلاده متفرجاً على ما يجري وهو كذلك يوقن ان
امر انقاذ بلاده هين ان تحسس مشاكها كل مواطن ، فهو عنيف
ينحو باللائمة على المتفرجين . ثم ان النظام الحزبي وما توقظ بالرفيق
« روح الجماعة » يجعله مقاتلاً . هذا العنف في الحديث وفي الكتابة
اضعف الحزب بأن ابعد عنه الكثيرين . ولكن ما حيلتك واكثر
رأس المال الحزب - كأكثر وأسمال اي جيش - ان أفراده يجب
ان يكونوا ملتهمين حماساً بالايان مستعدين للصراع .

وما دمننا قد جئنا على ذكر جبران حايك فما قواك انني اليوم

الخاطبة ، وخطبتي ، ب - حضرة الرفيق - . ولماذا كل هذه
- العبقة - في الاصطلاحات وفي السلام وفي الجلوس وفي افتتاح
الجلسات واختتامها ؟

الجواب بسيط . كل شيء مدروس وله اسباب سيكولوجية .
واكثر ما تمارسه تمارسه سوانا من المؤسسات الراقية . ان مخاطبة
سواك ب - يا حضرة الرفيق - يغير كما بلياقة و كياسة تمنع
الاصطدام . فكم من مرة كاد يتضارب احدا مع الآخر لولا
- حضرة الرفيق - يستحيل ان تقول لاحد مثلاً : « حضرة الرفيق
يلعن ابوك » . فهذه الكياسة المفروضة وهي تمارس في كل
الجيوش - تصون التعامل ، فيما تصون وتستبقه في دائرة الكياسة .
وبعد ، فهذه حركة هي انقاذ . كذا قالت للناس ، كذا
قالت لنفسها . كذا وعدت وكذا تنفذ .

من يقدر ان يخطط لعظام الامور جالساً الى كأس عرق او
في جو من الدعاب . في الكنيسة ، وفي المسجد ، وفي مكاتب
العمل طقوس عبادة ، وسلوكية عمل ، وهذه الحركة تتبع مناقبية
سلوك وشكليات تزعم المتفرجين على بلادهم ، فهي ضعف بانها لا
تستهويهم الى صفوفها ، ولكن هذه النهضة لا تتوحد الى السواح
بل الى المناضلين .

يا حضرة القاريء - حضرة الرفيق - كل تغير ، كل فرد ،
كل تحول ، كل ثورة فيها الغريب . وكل جديد غريب ، وحركتنا
فيها الغرابة ، فيها غير المؤلف لانها في جوهرها تريد ان تغترب
عن المؤلف الذي حجبنا .

علاقة الرئيس شمعون بـالحزب القومي

كثرت كتابة المأجورين في الاسابيع
الاخيرة عن صداقات ود تربطني بالخدمة
رئيس الجمهورية اللبنانية ، وعن اجتماعات
الرئيس بجورج عبد المسيح ، بل ان
مستولا كبيراً في دمشق ، تعلم اساليب
الدعاية المرفهة ، راح يوشوش زائريه
مستحلفاً اياهم بحفظ السر ان بين يدي
حضرة المشول في دمشق صورة رئيس
الجمهورية مجتمعاً الى جورج عبد المسيح
واندفع مأجور آخر يذكر الناس بخطاب
ألقيته في حفلة « الكتائب » وبخطاب
آخر في حضرة الرئيس السابق بشاره
الخوري ، الذي كنت معه كأني من اهل
بيته ألاعبه « البردج » في السهرات .

من اكبر مواطن الضعف في الحزب القومي ان ليس فيه من
يلعب رؤساء الجمهوريات - البردج - وليس فيه من يدخل قصر
الجمهورية كأنه من اهل البيت .

وما دمنّا قد جئنا على هذا الموضوع فلا بأس من ان اذكر

ان الخطاب الذي ألقته في حفلة الكتاب وعنوانه : « خطاب يفتش عن موضوع » كان من جملة الأسباب التي حفزت بعض مسؤولي الحزب السوري القومي الى دعوتي اليه ، وان خطابي « القرميدة المكسورة » الذي ألقته في حفلة الرئيس بشاره الحوري كان اعنف انتقاد وجهه الى رئيس جمهورية ، ضمن كياسة الأدب ، بقي في حضرته . كلاهما منشوران في كتابي « سيداتي سادتي » لتبسط قليلاً ، من اجل تلمس مواطن الضعف في الحزب ، بالحديث عن فخامة الرئيس ، وعن وزير الاشغال الاستاذ مغنغب على الصعيد الشخصي كان ابي ، محمود تقي الدين ، وكانت أب الرئيس الحالي نمر شمعون صديقين حميمين نفياً معاً الى الاناضول في زمن الاتراك . وكنت اراهما مراراً لا اعداد لها على بلكوننا في - الحدث - مع سواهما من موظفي حكومة جبل لبنان ايام الحرب العالمية الاولى ، يتساقون كؤوس العرق . ولقد درست في دير - مار انطون - في بعبدا مع اميل شمعون وفؤاد شمعون . ومن « الفيليبين » تكلمت على التلفون الى نيويورك مع رئيس الوفد اللبناني الاستاذ كميل شمعون مرات عديدة وتبادلت وياه تلغرافات تعد كلماتها بالالوف ، بمناسبة تقسيم فلسطين . وقبل ان ارجع الى لبنان كتبت مقالاً ظهر في « الصياد » عنوانه : « وجهان عربيان » وكان عن عادل ارسلان وكميل شمعون .

وكان الحزب - منذ سنة 1948 - يساند كميل شمعون المعارض ضد رئيس الجمهورية بشاره الحوري ، وان اعتبرت بكم صوت فاز المعارضون الخمسة في الشوف سنة 1951 ، وكم للحزب من قوة في

هذه المنطقة انتهيت الى حقيقة وهو ان عهد بشاره الحوري كان قد طعن المعارضة ، على الصعيد الانتخابي ، لولا اصوات الحزب . وقبيل اعتزال بشاره الحوري الحكم كانت علاقة المعارضة بالحزب متوثقة ، وكانت اجتماعات الاستاذ كميل شمعون بممثلي الحزب يومية والتعاون على اتمه . وفي ازمة ايلول ، وقد سبقها يوم « دير القمر » كان للحزب فضل - ولا نريد ان نقول كل الفضل - في استمرار الاضراب في بيروت وفي ان السلطة العسكرية اشارت على بشاره الحوري بالاعتزال ، فالرئيس شمعون وبعض اصدقائه الخالص يعرفون من كان مستهدفاً ، لو لم يعتزل بشاره الحوري الحكم .

اما وزير الاشغال الاستاذ مغيبب فهو ابن خال لأمين في الحزب ، وبين عائلته وبين اعضاء الحزب صداقات عائلية ترجع الى ما قبل مولد نعيم مغيبب . ولقد ساند الحزب ، وكان فوز مغيبب باصوات ضئيلة في الانتخابات الاخيرة ، لسبب واحد هو ان نعيم مغيبب في ازمة لبنان الكبرى - ازمة الصراع من اجل التخلص من المستعمر ونيل الاستقلال - نعيم مغيبب هذا رمى قنابل ، واطلق رصاصاً ، وحمل بارودة في سبيل الحرية ..

وما الذي نلناه في عهد رئاسة شمعون ووزارة نعيم مغيبب ؟ لم يرخص الرئيس شمعون للحزب بالعمل . لم يطلق اسراح مساجينه - نسميهم « الاسرى » - مئات منا مثلوا امام القضاء « بتهمة » الاجتماع . كتب الحزب ضبطت واحرقت . مئات دخلوا السجن . يوم الاضطراب الطائفي في بيروت وزعنا

منشوراً خطه سعادته ضد التمسك الطائفي . منشوراً تفخر بات
تعلقه على حائط صالون بيتك ليحفظه اولادك ويثراه زائرك .
سأمثل أمام القضاء ، في محكمة اميل شمعون ، لادافع عن نفسي
في جريئة توزيع هذا المنشور .

وفي عهد شمعون ، ووزير الاشغال نعيم مغبغب ، قريب
بعضنا ، وصديق بعضنا ، الوزير الذي انتخبه ، لحد بعيد ، الحزب
غائباً ، على ماذا حصلنا ؟ في وزارته اعمال المطار ، والمرفأ ، واكثر
اشغال النقطة الرابعة ، والاوتوستراد واشغال الطرقات وسواها
— على ماذا حصلنا ؟ اتحدى ايأ كان من الناس ان يقول من هو
القومي الاجتماعي الذي حاز على وظيفة او ترقية ، او التزام .
وحتى اكون صادقاً مئة بالمئة فان المنفعة الوحيدة التي نلناها في
هذا العهد ان الوزير مغبغب عين لنا — بعد مراجعة اربعة شهور —
الرفيق فايز ملاعب من بيصور رئيس ورشة بمعاش اربع ليرات
يوميّاً .

يا ليت الرئيس شمعون من اصفياثنا . لقد قابلته مرة واحدة
طوال عهده ، وقابلت رئيس الجمهورية السورية ثلاث مرات .
اقول هذا بنجل كثير لان من اهم مواطن الضعف في الحزب
السوري القومي الاجتماعي انه لم يترجم قوته الشعبية الى نفوذ في
السرايات .

بدون شك ان نقولا بسترس — ولا اقصد ان احقره او
اسيء اليه بل هو اسم ورد الى خاطري — له في السرايات نفوذ اكثر
من الحزب السوري القومي الاجتماعي .

هل هذا الضعف يلام عليه الحزب؟ لحد ما نعم . ولحد ما لا .
فبعض الذين اوصلهم الحزب الى حفلات الكوكتيل داخوا
بكؤوسها . وبعض الذين جاؤوا الى الحزب عن طريق الحفلات
تركوه او أتركوه اذ ان العمل الحزبي ما هو بحفله . اديب
الشيشكلي كان عضواً الى حين دارت به الكرسي فداخ .
ان الحزب السوري القومي الاجتماعي سيختصر الطريق الى
نجاحه حين يتمكن ان يصبح قوة في السراي .
ولعل هذا هو السبب الذي من اجله اقفلت بوجهه ابواب
السراي .

الجزيرة الغرقى

استألفت نظر بعض العلماء ان اسراب الطيور في هجرتها السنوية من شمالي اوروبا الى اميركا الجنوبية كانت تتمهل فوق نقطة معينة من الاوقيانوس الاطلانتيكي فتحوم وتحوم ، ثم تستمر في طيرانها نحو الجنوب .

وبحث العلماء واستقروا فاذا في تلك النقطة المعينة ، تحت المياه ، جزيرة غرقى . واذا بالطيور ، بحكم غريزة تحدت اليها من آباءها ، تقف فوق المياه وتهم بأن تحط ، ولكن الجزيرة التي كانت تأوى اليها الطيور فيما مضى غاصت في مياه الاوقيانوس منذ مئات السنين .

ان مواطنينا اسراب طيور يويدون ان يهجروا المسكن القديم واكنهم يحومون فوق جزر لن يقدروا ان يلجأوا اليها ولا ان يجعلوا منها معاقل لأنها جزر غرقى .

فالذي يقول لك ان الاسلام يوحى الجهاد - اليوم - لا يذقه ان تركيا وايران والافغانستان هي دول اسلامية - على التعديد الشائع - وانها تتعامل مع اسرائيل .

وهو نفسه يتناسى ان الدول التي سلمت لليهود ما اصطلح الناس على تسميته « الارض المقدسة » هي دول مسيحية .

وهو نفسه الذي يذكر ان دروز لبنان سنة 1925 كانوا يهرعون بالملئات لنصرة ثورة درزية يوم احرق سلطان الاطرش داره حين عجزت عن ان تحمي لاجئاً . وهو نفسه الذي لا يريد ان يتعرف الى الحوادث الاخيرة - واحداها ان رجال المكتب الثاني اقتحموا دار الامير حسن الاطرش فنكوا بابنه ونقلوه الى « الجيب » مغمياً عليه ، بعد ان اهانوا قريبات السلطان والامير حسن . هذه الحوادث ما استثارت في لبنان نفمة درزية . فلا تجمعات ، ولا تطوعات ، حتى ولا تلغرافات .

والذي يريد ان يسير نحو القوة عن طريق « العائلة » يتناسى ان ليس في بلادنا عائلة واحدة غير منقسمة على نفسها ، واشهى ما عند الواحد منها ان يفنى قريبه . وان العشيرة كذلك لم تعد موجودة . وان « القرية » لا تجمع على امر عظيم ، إلا اذا كانت هذا الامر العظيم من منافع العيش كطريق او اعانة لبلدية . فليس في لبنان اليوم ضيعة تثور اذا احتل اليهود جبل عامل مثلاً .

والذين لا يزالون يتطلعون نحو الغرب هم كذلك يحومون على جزيرة غرقى . ففي الماضي جسدت الدول الغربية احلامنا للانعتاق من الاستعمار التركي ولكن الاجانب خدعونا مرتين الاولى حين استعمرونا بعد تحررنا من الاتراك ، والثانية حين سلموا بعض بلادنا لليهود . فكل تطلع اليوم نحو اية دولة اجنبية هو - في ابسط مظاهره - نحويم فوق جزيرة غرقى . بعض الروم

الارثوذكس ، في بعض المناطق ، ينشدون العون الروسي متوهمين
ان روسيا هي حصن الطائفة الارثوذكسية .

ان بلادنا في سيرها الحضاري انسلخت عن شيء ، ولا تزال تفتش
عن شيء . هي اليوم في هوة لانها في فجوة .

ان انطون سعادة لم يكتشف شيئاً جديداً حين بشر بالقومية .
كل ما فعل انه نادى بها عارية عن الاوهام . لذلك اصطدمت
الحقيقة بالاوهام . والاوهام هي لذة عقلية وخدر لا يريد الضعيف ،
ويصعب عليه ، ان يتخلى عنه . وانها حقيقة علمية ان الاقلاع عن
المخدرات يتحدى قوة جبارة في النفس ويعرض المقلع عنه - في
باديء الامر - الى صدام في الرأس شديد .

والمواطنون في بلادنا ان لم يعزموا على التخلص من الاوهام
وينشدوا التمسك في النظام الجديد ، فسيستمررون بحومون فوق
الجزيرة الفرقي ، عصائب طير بعضها يزقزق ، وبعضها ينعب ، وهي
في تجمعها واستعراض اسرارها والوانها تحسب القوة في مجرد تجمعها
وضجيجها ، وعددها ، وتتوهم الاقتدار في الظل الذي ترميه على
المياه .

وضفنا اليوم هو في اننا ضجة وأظلة على مياه طمرت شيئاً الى
الابد اختفى ، لان الحضارة فيما تبني الاشياء هي تطمر الاشياء .

كُتُبُ المصنف

١٩٢٤	لولا المحامي
١٩٢٥	قضي الامر (اتلفت)
١٩٤٦	نخب العدو
١٩٤٨	حفنة ربح
١٩٥٠	غابة الكافور
١٩٥٣	المنبؤ
١٩٥٤	ربيع الخريف
١٩٥٥	سيداتي سادتي
١٩٥٥	تبلغوا وبلغوا

تحت الطبع

غبار البهيرة